عبدالله بن ادريس .. ناقدا

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

***

قد يكون في متناول ذلك الموضوع شيء من المجازفة التي لا يأمن معها الدارس من الاعتماد على مقدمات لا تؤدي الى النتيجة ، كما يقول علماؤنا .

وكان الجاحظ أبو عثمان رحمه الله ، واجزل مثوبته يقول عن النظام (٢٢١ هـ - ٨٣٦ م) : « كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه ، وجودة قياسه على العارض والخاطر والسابق الذي لا يؤتى بمثله . فلو كان بدل تصحيحه القياس ، التمس تصحيح الاصل الذي قاس عليه كان أمره على الخلاف ، ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه ، وينسى ان بدء أمره كان ظنا ، فاذا اتقن ذلك وايقن ، جزم عليه ، وحكاه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه ، ولكنه كان لا يقول : سمعت ولا رأيت ، وكان كلامه ، اذا خرج مخرج الشهادة القاطعة ، لم يشك السامع انه انما حكى ذلك عن سماع قد امتحنه ، او معاينة قد بهرته » . « كان موصوفا بقوة الحجة ، وجودة القياس والاستنباط ، الا انه لا يتحرى الدقة فيما يقيس عليه (١) .. »

هذا مع ما كان يقول الجاحظ عنه : في كل الف سنة رجل لا نظير له ، فان كان ذلك صحيحا فالنظام من اولئك (٢) .

ذلك كله لان في الكتابة عن المعاصرين ما فيها من الاعتماد على ما ظهر من انتاجهم ، وهو شيء من اشياء في الامكان ان تجود بها عقولهم .. وهناك راي علمي ما زال معمولا به في كثير من البيئات العلمية الاصيلة ، وهو ان الكتابة العلمية عن معاصر خطأ من القول ، فلا يمكن ان تحدد مذهبا لمعاصر ، ولا ان تعرف بمنهج فكري ثابت له ، لان فكر المفكر في عطاء دائم الى آخر حياته ، ويؤيد ذلك « سارتر » تأييدا قويا .

وعندما جاء أحد الطلاب في الدراسات العليا ليقول انه اختار اديبا معاصرا موضوعا لرسالته للدكتوراه ، قلت له : ان ذلك خطأ ما بعده من خطأ ، فالكتابة عن معاصر لا يمكن ان تتجه اتجاها علميا سليما في يوم من الايام .

ولكن على الرغم من المحافظة على العرف العلمي الذي يقضي بأنه لا يمكن ان يكون مفكر لا يزال على قيد الحياة موضوع بحث ، فانه شوهد في جامعة الازهر تقديم رسالة عن عزيز اباظة ، واخرى عن طه حسين مثلا ، وفي جامعة السوربون قدمت رسالة عن جبران في حياته ، ودرست فيها مختارات من ادبه وادب طه حسين وميخائيل نعيمة وكتاب آخرين لا يزالون على قيد الحياة ، فصارت نماذجهم مدرجة في برامج كليات الآداب واللغات هنا وهناك .

وقد يقال : انني درست معاصرين كثيرين ، واعطيت احكاما على ادبهم .

وهنا أقول : ان دراسة معاصر في اثر ادبي صدر له امر سهل ولا شيء فيه ، وكذلك دراسة معاصر ضمن مدرسة ادبية يسير على خطوطها شيء ممكن ..

ومن اجل ذلك كان من الواجب علي ان يكون عنوان موضوعي « عبد الله بن ادريس في كتابه « شعراء نجد المعاصرون » .. ناقدا »

لكن قاتل الله فن الصحافة والاعلان الحديث ، فلو كتبت مثل هذا العنوان هنا ، لكان ذلك مبررا لالبير أديب الناقد الكبير أن يحذفه ، او ان يرمي بالموضوع كله في سلة المهملات ، فاذا ما جاملني ونشره ، لكان هذا العنوان الطويل داعية للقارىء الى ان يمر به فيضرب عن قراءته صفحا ، واذا جازف وقراه ربما كان مدعاة لتثاؤب طويل ، وهنا تجيء حقيقة « جناية الصحافة على الادب » . واستغفر الله ، حتى لا يغضب صديقاي الحميمان البير اديب وعبد الله بن ادريس واصدقاء آخرون عديدون ، من بينهم الشيخ عبد الرحمن المعمر وغيره .

ويقودنا ذلك الى جانب آخر من القول ، وهو : « لمن يكتب الاديب ادبه ؟ » .. واستميح القارىء عذرا في ان لا اتحدث عن ذلك ، ذلك لان مجلة « الاديب » لا تنشر موضوعا طويلا من جانب ، ولانني اسرفت في الحديث عن موضوع جانبي من جانب آخر ، واسراف واحد امر يحتمل ، اما اسرافان معا في مجال واحد ، وفي مجلة « الاديب » ، وامام البير اديب ذاته فأمر غير مغفور .

واقول هنا : ان ابن ادريس لم يطبع بعد انتاجه النقدي ، الذي ينشر منه اشياء كثيرة في الصحف والمجلات في المملكة العربية السعودية منذ زمن غير قصير .. ثم هو متعدد الجوانب ، فهو عالم ، وشاعر ، وكاتب ، وناقد ، وصحفي ، وقد تكون شهرته بالصحافة او بالشعر اكثر واوضح مميزات شخصيته الادبية ، ومع ذلك فقد تركت الحديث عن هذه الجوانب ، قاصدا الى الجانب النقدي وحده ، وهو المعادلة الصعبة كما يقولون ..

وهناك كذلك امر الحركة النقدية في المملكة العربية

---

١ - راجع ٢ : ٢٢٩ و ٢٣٠ ، ٣ : ٨٢ الحيوان للجاحظ .

٢ - ٢٩ المنية والامل للمرتضى .

السعودية ، وهي حركة قوية مثمرة فيها خصوبة ، بيد انها لم تتطور بعد الى مذاهب ومدارس فكرية ونقدية واضحة ، والسبب ان اكثر الانتاج الفكري للادباء فيها لم يطبع بعد مع وفرة الاسباب المساعدة على ظهور مأثورات الفكر ، ومعطيات الادب ، فيها ..

وكان هناك ــ بل لا يزال هناك ــ امر يكاد يكون مسلما به عند كثير من الادباء ، ومن بينهم الادباء الكبار من مثل العقاد وطه حسين والزيات واحمد امين وغيرهم، وهو ان الكتابة لا يمكن ان تكون الا عن القمم المشهورة في الفكر والادب وحدهم .. وهذا الراي السائد حطمه الفكر الادبي الجديد المعاصر في عالمنا العربي ، وكان الدكتور ابو شادي ، ومن بعده مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وهما من النقاد الاصلاء ، يوليان انتاج الشباب من عنايتهم ، مثل ما يوليان انتاج الشيوخ ، وعلى هذا النمط يسير بعض من جيلنا المعاصر .. وان كان صنيعهم لا يزال معرضا للكثير من النقد عند دعاة « دكتاتورية الادب » ، وهي دعوى كان يناقضها أبوشادي الذي طالما تحدث عن « ديمقراطية الادب » في كتابه « مسرح الادب » .

وكثير من شبابنا يبدأون الانتاج الادبي بالكتابة عن الاعلام الكبيرة او نقدها ، وكذلك فعل العقاد والمازني وشكري من قبل حين تناولوا المنفلوطي واحمد شوقي في كتابهم المشهور « الديوان » الذي صدر عام ١٩٢١ .

والكتابة عن الاعلام الكبيرة المعاصرة مدعاة دائما لسوء الظن ، فاما ان يكون الباعث عليها غالبا النفاق ، او طلب الصعود الى الشهرة ، وكلا الامرين شر لا يحتمل .

* * *

ودراسة راي ناقد في الجزيرة العربية السعودية امر صعب ايضا ، ذلك لان النقد مرحلة متأخرة من مراحل التطور الادبي ، ولا يمكن ان تتضح حركة النقد وسيره في المملكة العربية ، الا بعد ان يجمع انتاج الادباء والشعراء في القديم والحديث جمعا شاملا منظما، مقسما الى عصور ومدارس ومذاهب ، فان ذلك يسير في مجاله الاخير الى دائرة النقد والمذاهب النقدية .. وما دامت مؤلفات الادباء السعوديين مبعثرة او مخطوطة ، فلن تستقيم دراسات النقد لها وحولها ، ولا يمكن ان تستنتج حركة نقدية ذات اثر فعال في الادب وتطوره .

ويا ليت ادباء المملكة العربية السعودية يعنون بنشر مؤلفات ادبائهم ، الراحلين والاحياء منهم ، ويعنى معهم بتحقيقها شباب الجامعات السعودية ، الذين تقع عليهم مسؤولية جمع أصول ادبهم ، وتحقيق مصادره ، ونشر مراجعه ، والتنقيب عنه في مختلف الصحف والمجلات والكتب والدواوين القديمة .

وقد استبشرت خيرا كثيرا وانا اقرا كتاب ابن ادريس « شعراء نجد المعاصرون » ، ثم كتاب الدكتور عبد الله آل مبارك « ادب النثر المعاصر في شرقي الجزيرة العربية السعودية » ، ثم وانا اشرف على رسالة للدكتوراه لاديب سعودي هو عثمان الصوينع في موضوع « حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر » (١٩٢٥ ــ ١٩٧٠) .. ومن قبل كان للاديب الكبير عبد الله عبد الجبار فضل كبير بدراسته النقدية ، « التيارات الادبية في الجزيرة العربية » .

ومن قبل اصدر الشيخ محمد سرور الصبان عام ١٩٤٦ ، كتابا بعنوان « ادب الحجاز » ، واصدر الشيخ عبد الله بلخير ومحمد سعيد عبد المقصود كتابا بعنوان « وحي الصحراء » ، واصدر السنوسي وزميل له كتاب « شعراء الجنوب » ، والشنقيطي كتاب « النهضة الادبية بنجد » ، واصدر الساسي كتابه « شعراء الحجاز » ، وكتابه « الشعراء الثلاثة » ، ثم اصدر اخيرا الجزء الاول من كتابه « الموسوعة الادبية » ، كما اصدر عبد الرحمن العبد الكريم كتابه « الادب في الخليج العربي » ، وقد طبع عام ١٣٧٧ هـ ، وهناك رسائل مخطوطة لم تنشر بعد ، فللدكتور منصور ابراهيم الحازمي رسالته للدكتوراه بالانجليزية وموضوعها « الرواية التاريخية في الادب العربي الحديث » ، وللدكتور محمد عثمان الصالح رسالته للدكتوراه بالانكليزية في موضوع « الشعر الحديث في نجد » وهناك دراسات اخرى للدكتوراه عن النثر الادبي في الحجاز ، والنثر في نجد ، وهي موضوعات واعمال حرية بالطبع ، وقام بها صفوة من الادباء السعوديين الذين يشغل بعضهم اماكن علمية في هيئات التدريس في جامعة الرياض .

* * *

ان جهد ابن ادريس النقدي في كتابه « شعراء نجد المعاصرون » كبير وجليل، وهو يخضع لمنهج علمي اصيل، ولموازين نقدية سليمة ودقيقة .

ولابن ادريس ذوقه الادبي المرهف ، والذوق اول ادوات النقد .. الى فكره العميق ، وفهمه الواعي لتيارات الادب ومذاهبه واصوله .

ومن ثم فقد درس في هذا الكتاب العديد من مشكلات النقد وحركاته ، واصدر فيها آراء حرية بالاحتفاء والتسجيل ، وهذا مع ذكائه وفهمه وحسن تصرفه ولباقته النقدية .

ومعرفتي بابن ادريس في ندوات رابطة الادب الحديث في القاهرة ، ثم في الرياض ، وفي مقالاته وآرائه ، وفي كتابه الذي اتخذه مادة لهذه الكلمة .. مما يجعلني اصدر في الراي عن بصيرة وفهم كذلك .

وحياة ابن ادريس يوجزها صاحب كتاب « النهضة الادبية بنجد » (ص ١٥٠ ــ طبعة القاهرة ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١م) ايجازا شديدا ، من حيث الم ابن ادريس نفسه ببعض خيوطها في كتابه « شعراء نجد » في ايجاز

كذلك ، اذ لم يزد في ترجمته لنفسه على صفحة ونصف، وفيها يقص لنا هو قصة ميلاده عام ١٣٤٩هـ ــ ١٩٢٩ م في « حرمة » من اقليم « سدير » ، ثم كيف انتهت به الحياة الى تخرجه من كليـة الشريعة في الرياض عـام ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٤ م يحمل شهادتها العالية ، ثم كيف تفرغ للصحافة والادب بعد ذلك .

ولم ينشر من اعمال ابن ادريس الادبية سوى كتابه مادة هذا الحديث ، وهو « شعراء نجد المعاصرون » . أما ديوانه « احلام ضائعة » ، وكتابه المخطوط الذي يجمع آراءه النقدية والادبية فلم يصدرا حتى الآن .

ويضم كتاب « شعراء نجد المعاصرون » ، وكتاب « النهضة الادبية بنجد » بعض النماذج من شعر ابن ادريس ، وهذه النماذج ترشد الى ذوق ادبي عال ، والى مذهب اصيل في فهم الشعر وتذوقه ونظمه ، وشعره العمودي في الكثير منه يمزج فيه بين الكلاسيكية والرومانسية بروح مبدع ، وذهن متفتح للحياة ، وعقل متصرف مجدد متوثب .. وهذا الشعر ينم كذلك عن تأثره بالمدارس الجديدة في الشعر في العالم العربي : كالمدرسة المهجرية ، ومدرسة شعراء الشام والعراق الجديدة ، ومدارس الشعر المختلفة الجديدة في مصر : كالكلاسيكيين الجدد ، والرومانسيين ، والرمزيين والسيرياليين ، والواقعيين ، وغيرهم .. وذلك كله يحدد لنا اصول ثقافته النقدية ، واصالته في فهم النقد ، ومهارته في النفوذ الى شعابه ، وصعاب مسالكه .

ولن اقول هنا ما قاله اكرمان ناقد جوته ـ وهو يهنىء جوته بظهور طبعةجديدة لآثاره الكاملة ــ انه توجد مقادير من الايحاءات اليونانية او الفرنسية او الانجليزية او الايطالية ، وهي جميعها موقعة بتوقيع جوته .

ذلك لان العبقرية تتألف قبل كل شيء من صهر العناصر الاولى في وحدة الفكر التي منها ما يكون من داخل وطن الاديب ، ومنها ما يكون من خارج بلاده ، والتي لا يمكننا فهمها دون ان يوضح النقد في جلاء كل ما غذاه ، وما كونه .

* * *

ويخيل الي انني لن اتفق مع ابن ادريس الناقد على شيء ، لان النقد ــ في رأيي ــ ذاتي لا موضوعي ، وتأثري اكثر منه شيئا آخر ، والآراء فيه دائما تتباعد ولا تتقارب ، تختلف ولا تتفق ، وقديما وحديثا اختلف النقاد ، وتناقضت آراؤهم حيال شاعر بعينه ، او شعر بذاته ، او قضية متميزة بنفسها ، اختلافا شديدا ، مثل اختلافهم حول شاعرية ابن الرومي وابي تمام والمتنبي وشوقي ، وكاختلافهم حول ابيات كثير المشهورة .

ولما قضينا من منى كل حاجة   ومسح بالاركان من هو ماسح

حتى لقد ازرى بها ابن قتيبة والعسكري، ورفع من منزلتها في الشاعرية ابن جنى وعبد القاهر الجرجاني ، وكاختلافهم حول ابيات الشاعر ابراهيم ناجي (توفي في ٢٥ من مارس ١٩٥٣) من قصيدته « قلب راقصة » وهي احدى قصائد ديوانه « وراء الغمام » ص ٣٦ :

امسيت اشكو الضيق والاينا
مستغرقا في الفكر والسأم
فمضيت لا ادري الى اينـا
ومشيت حيث تجرني قدمي

حيث نوه بها ابو شادي ومصطفى السحرتي (٣) ، وازرى بها طه حسين في الجزء الثالث من كتابه « حديث الاربعاء » ص ١٧١ ، وتابعه المرحوم الدكتور عبد الوهاب حمودة في كتابه « التجديد في الادب المصري الحديث » ص ١٣٥ ، وكاختلاف النقاد حول مذاهب الكلاسيكيين والرومانسيين والرمزيين وغيرهم .

واول قضية نقدية اتناولها هنا هي قضية الكلاسيكية ، التي اثارها الناقد ابن ادريس في كتابه « شعراء نجد المعاصرون » اثارة شديدة ، وازعج فيما اثاره المحافظين وانصارهم ، كما ازعج كذلك بعض المجددين ، ممن يجمعون خيوط التجديد من حرصهم الشديد على ان يمزجوا في شعرهم بين الكلاسيكية والرومانسية معا .

يقول في ص ٣٧ من كتابه : « ان الشعر التقليدي قد دنت شمسه نحو الغروب » ... وما هذا الشعر التقليدي ؟

أليس هو شعر الكلاسيكيين القدماء ، اما الجدد منهم فقد افسحوا المجال امامهم للتجديد ، ووفقوا توفيقا جميلا بين الشعر والابتداع ، وبينه وبين حوافز البيئة والتزاماتها الادبية ، ونبه نقادهم الى انهم يريدون الشعر معنى جديدا في اسلوب شبه قديم ، حتى لقد نادى اندريه شينيه بقوله ، وهو يدعو الى الكلاسيكية الجديدة ويلخصها : « فلنصغ افكارا جديدة في ثوب قديم » ، وقد ولد شينيه من أب فرنسي وأم يونانية ، وكان يعشق في الادب اليوناني القديم صياغته ، ويحب الاساطير الاغريقية لسعة خيالها ، ونظم قصائد كثيرة ، اتخذ لكل منها موضوعا صب فيه أفكاره واحاسيسه الحضارية الجديدة ، في اسلوب كلاسيكي رفيع ، وكأنه اسلوب أحد الشعراء اليونانيين القدماء ، ومن بين قصائده قصيدته « الحرية » المشهورة ..

واغلب شعراء الكلاسيكية يحتذون حذو القدماء في البلاغة والشاعرية والاسلوب والصياغة ، مقلدين فيما ينظمون ويكتبون غيرهم من الاوائل ، يدعون الى الحق والحكمة والفضيلة والخير والجمال ، وقد كان تأكيد الكلاسيكية على العقل والموضوعية شديدا ، من حيث صار تأكيد الرومانسية على الوجدان والشعور والعاطفة الحارة ، وعلى الذاتية وحدها .

٣ ــ ٢٠٤ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ــ السحرتي ــ طبعة ١٩٤٨ .

ويوضح الامر ، في ان الناقد ابن ادريس يعنى من الشعر التقليدي الشعر الكلاسيكي انه يقول في صفحة ١٦٩ من كتابه « شعراء نجد ... » في معرض حديثه عن الشاعر عبد الكريم بن جهيمان : « انه من الشعراء الذين انتقلوا بالشعر النجدي من العهد الكلاسيكي الميت الى الطور الرومانتيكي ، وانه كان لا بد والحالة هذه ان يحفل شعره بصور مزدوجة ذات سمات مختلفة المعالم ، منها ما يشد الشاعر الى الوراء بصور مزدوجة ذات سمات متينة ، من حيث تغلب العقل فيه على العاطفة ، شأن الاتجاه الكلاسيكي والنظرية التعليمية ، ومنها ما يند به الى عالم الخيال المسحور ، ولكنه ليس خيالا رومانتيكيا مطلقا ، فكثيرا ما كان يرتطم في جدران الكلاسيكية ، ذات الخيال الذي لم ينفك من ربقة النظرية التعليمية في الشعر بعد .. »

وكلام ابن ادريس هنا كلام جليل جيد ، فيما عدا وصفه الشعر بانه عبر من العهد الكلاسيكي الميت الى الطور الرومانتيكي .

فوصفه الكلاسيكية بانها عهد شعري ميت قد يكون فيه ما لا يوائم وجود الكلاسيكية اليوم في الشرق والغرب على حد سواء .. ويقسم بعض النقاد المعاصرين من مثل د. احمد زكي ابو شادي المدارس الشعرية في ادبنا العربي المعاصر الى ثلاث :

١ ـ المدرسة الكلاسيكية المجددة تحت الراية الابتداعية وكان « مطران » من اعلامها .

٢ ـ المدرسة التجديدية المتطرفة التي تهيم بالرمزية والسيريالية .

٣ ـ المدرسة الوسط التي تحفل بالموسيقى الاتباعية وبجزالة الالفاظ وبالصيغ العريقة المأثورة ، مع الاخذ من اجتهاد المدرستين السابقتين ، من مثل علي محمود طه .

ويدعو ابو شادي الى تعاون المدارس الشعرية والنقدية المختلفة ، والى تقدير جميع المواهب والاتجاهات السليمة في الشعر ، من حيث يرى وديع فلسطين في كتابه النقدي الشهير « قضايا الفكر في الادب المعاصر » ان الغرب له مذاهبه ، وان التطبيق الحرفي لهذه المذاهب على ادبنا العربي غير مسلم به ، ويدعو محمد النويهي(٤) الى وجوب الحذر في تطبيق مقاييس النقد الغربي ، وعدم الاندفاع في اقحامها على ادبنا وتراثنا الادبي ، لانها مستخرجة من آداب مختلفة عن ادبنا في امور كثيرة ، ومن الادب العربي نفسه تستنبط المقاييس التي يحكم بها عليه (٤) ، وهو راي سبق ان ناديت به في كتبي : رائد الشعر الحديث ، ومذاهب الادب ، وهمان مطبوعان عام ١٩٥٣ ، وفي كتابي « دراسات في النقد الادبي » المطبوع ١٩٦٢ ، وغيرها .

فالعصر الكلاسيكي في الشعر ، اذا ذهبنا الى تصنيف شعرنا وفق المذاهب الادبية الغربية ، لا يزال موجودا في شعرنا المعاصر ، لوله انصاره ومتذوقوه ، ولم يمت ابدا .

اما ان كان الناقد ابن ادريس يرى انه صار كالميت فذلك ايضا ما لا اتفق معه فيه ، لان انصار الشعر الكلاسيكي في العالم العربي اكثر بكثير من انصار المذاهب الشعرية الاخرى ، والنقاد الكلاسيكيون يرون ان هذا الشعر المنظور اصلح للبقاء من غيره ، واولى بالخلود من الشعر الجديد .

اما اذا كان كلام ابن ادريس منصبا على نوع من الشعر الكلاسيكي بعينه ، لا على كل شعر كلاسيكي ، وهو الكلاسيكية القديمة المسرفة في التقليد ، فسوف لا يصبح بيني وبينه خلاف ، وتمسي ونحن على هذا جد متفقين .

* * *

والقضية الثانية التي نختلف فيها كذلك ، ولن نتفق ابدا ، هي ان ابن ادريس يعرض في كتابه للصياغة الشعرية القديمة ، وللصياغة الحديثة او الجديدة التي تقوم على التفعيلة الواحدة ، وعلى انعدام التقفية ، او على صياغة تتناوح فيها القافية بين مقاطع مختلفة متعددة في القصيدة القديمة ، ويرتكز فيها الشاعر على بناء القصيدة بناء عضويا فنيا متكاملا (راجع ص ٥٢ شعراء نجد ..)

ولهذا فهو يختار في كتابه نماذج من الصياغة القديمة ، ونماذج اخرى من الصياغة الجديدة .

وانا لا اوافق ابن ادريس على جعل الشعر الجديد اساسا صالحا لبناء القصيدة ، كالشعر العمودي ، فأنا لا احبذ هذا الشعر الجديد ولا استجيده ، ولا اوثره ، فليس فيه من المقومات الاصلية الفنية الصالحة لبناء القصيدة . وفي كتابي « البناء الفني للقصيدة العربية » حديث طويل عن ذلك .

ان التزام عمود الشعر العربي في رايي اساس فني متكامل وصالح ، وما احوجنا الى الحرص على تراثنا الشعري القديم روحا وجوهرا ، وشكلا ومضمونا .

واذا عدت هذه رجعية فبحسبي ان اقف في صف طويل يقف فيه العقاد والزيات والرافعي وعزيز اباظة ووديع فلسطين ، وزكي المحاسني ، ومحمد عبد الغني حسن وعلي الجندي ومحمد الاسمر ومحمود غنيم وسواهم من مثل شوقي وابو ريشة وبشارة الخوري والقروي وفرحات وغيرهم من الرجعيين في الادب والنقد . ان الشعر الحر في رايي نشاز في صياغة القصيدة ، وقد ضمنه محبوه اردأ التجارب الشعرية ، فهذا مثلا احمد عبد المعطي حجازي يتصور انه غريق ، وان انثى الحيتان جاءته ترحب به غريقا ، لتاخذ منه موعدا غراميا جليلا ،

٤ ـ مجلة الثقافة المصرية عدد ٢١-١٢ ـ ١٩٦٣ ـ ج ١١ ص١٥

« أفيحاء » يا بسمة الرافدين

الدكتورة عاتكة الخزرجي

* * *

الى كل بصيري وبصيرية .. الى أحبابي هناك في ثغر العراق الجميل . الى « الفيحاء » حسناء الرافدين ذات الخمائل الخضر من النخيل السامق المتمايل في دلال على الشطآن .. الى التربة العطرة المضمخة بكل رفيع من تراث السلف .. اليهم واليها أرفع هذه الانفاس تحية قلب أذابه الحب حروفا موزونة على الورق عساهم يقبلونها مني صدى مرددا وليعذروا ان حيل بيني وبين ان القاهم عيانا فانشدهم اياها كائنا مجسدا .. فصلة الروح بالروح أعز وأمتن وصدى الحس اعمق وأوزن ..

وجنة عدن تبدت لنا — وقد باغم الحور ولدانها
و « رضوان » نشوان من سحرها — وتفتن في الدل أفنانها
أرته من الحسن ألوانه — فأشبه في السحر ألوانها
جلت من عرائسها عن لآل — ودر ينافس عقيانها
تضوع نسائمها بالعبير — فبالروح تنقل ريحانها

يقول :

ومرت كل ايامي دجاجا ماله اعناق
تناثر ريشه الدامي فسد فمي عن الافصاح
غريقا كنت لا اهوى الى القيعان
ولا اطفو على القمة
تمد عيونها الحيتان وهي تظنني لقمة
وتمسح جبهتي بيدين باردتين كالظلمة
وتدعوها من الاعماق انثاها فتتركني الى موعد

وابيات صلاح عبد الصبور (الناس في بلادي ص ٤٥) :

ورجعت بعد الظهر في جيبي قروش
وشربت شايا في الطريق
ورتقت نعلي
ولعبت بالنرد الموزع بين كفي والصديق

مثل من امثلة هذا الشعر ، وقد تهكم بها كاظم جواد ، فقال :

واكلت تمرا في الطريق
وملات بالتفاح بطني
وذهبت للخياط ارتق سترتي
وجلست في المقهى امصمص قهوتي

ان الشعر الحر هدم للمواريث الشعرية الجليلة ، ولنمط القصيدة المأثور .

ولعل الناقد ابن ادريس لا يبعد عني كثيرا في هذه القضية ، فاختياراته من الشعر الحر محدودة جدا ، ولا تكاد تقاس بالقصائد العمودية المختارة في كتابه النفيس .

ولست متعصبا للقديم وحده بقدر تعصبي للتراث الشعري ، هذا التعصب الذي احمد الله عليه ، والذي يشاركني فيه مثل العقاد والزيات ووديع فلسطين وسواهم ..

* * *

وحديث ابن ادريس في كتابه ، عن بدء الشعر ونشأته في نجد حديث جميل ممتع .. الى احاديث اخرى ، واحكام نقدية على الشعر والشعراء ، وترجمات طويلة او قصيرة للشعراء النجديين المعاصرين ، مما يجعل للكتاب اهمية كبيرة .

ان جهد ابن ادريس في كتابه جهد يقدره النقاد حق قدره ، وبحسبه انه وضع شمعة على الطريق ، بل اني لاعد كتابه من معالم الحركة النقدية الجديدة في الادب السعودي الحديث .

ويقسم ابن ادريس الشعراء في نجد ثلاث مدارس :

١ ــ الاولى طبقة الشعراء اصحاب نظرية الشعر التعليمية ، ويريد بهم الشعراء الكلاسيكيين ، ويمثلهم في رايه : ابن عشيمين ، وحمد الجاسر ، وخالد الفرج ، وعبد الكريم الجهيمان .

٢ ــ والثانية مدرسة الرومانتيكيين من مثل : الامير عبد الله الفيصل ، ومحمد الفهد عيسى ، ومحمد الشبل ، وسواهم .

٣ ــ والثالثة المدرسة الواقعية ، ويمثلهم ناصر أبو حيمد ، وسعد البواردي ، وعثمان بن سيار ، وسواهم (ص ٣٦ و ٣٧ شعراء نجد ..)

وهو تقسيم جيد مصبوب في قالب نقدي متميز .

ولا املك الا ان اتمنى ان يطبع ابن ادريس دراساته الاخرى ، لنملك اسبابا اوثق للنقد والدراسة والتحليل .. وبالله التوفيق .

الرياض — **محمد عبد المنعم خفاجي**

فادواحهـا قبلـت ضالهـا ... وكرماتها عانقت بانهـا
ويـا بهجة النخلات الحسان ... وقـد فـوف الطلـع . اردانهـا
وحلـت ضفائرهـا فانثنـت ... علـى الصدر تستـر رمانهـا
وسبحان مـن ثـج امواهها ... وطـرز بالوشـي شطآنهـا
ولقـن أطيـاره حمـده ... فرنـت تسبـح رحمانهـا
اذا رجعت شدوهـا خلتهـا ... بتـولا تـرتـل « قرآنهـا »

وسبحـان بـاريء أنسامهـا ... ومـن نطفـة صاغ انسانها
وسبحانه باعثـا مـن رميـم ... ومـن يـزن النفس ميزانهـا
وسبحان فالـق حباتهـا ... لآلـيء تبهـر مرجـانهـا
وأجرى بهـا الشمس للمستقـر ... وقـدر ـ سبحانـه ـ شانها
وسبحـانـه مارجـا للبحـار ... ويهـدي السفـين وربانهـا
وأجرى الريـاح علـى هونهـا ... واغـرى بهـا بعـد شيطانهـا
تعاليـت يـا قدرة مـن قديـر ... فمـا كنت الا بمـا كانهـا
فأنت عليـه الدليـل الدليـل ... وان أشكلـت كنت برهانهـا

أفيحـاء يـا بسمـة الرافدين ... لقـد هجت في الـروح تحنانها
تذكـرت أيامـك الخاليـات ... وذكـراي تـوجـب شكرانهـا
واذ أنـت كالطـل او كالعبير ... يساقـي دمشـق وبغدانهـا
تمثل لـي العـز ملء الاهاب ... وهـل نافعي كنت او كانهـا
أفيحـاء لـو تمسحين الدمـوع ... وسري عـن النفـس أشجانهـا
وعـودي لاوسك كـي تبعثـي ... وشقـي عـن الـروح اكفانهـا

فهذا « ابو الفضل » « عباسنا » ... تلـوم « فـوزا » وهجرانها
وذاك « ابن برد » وذي « عبدة » ... وشيطانـه غـر شيطانهـا
وذاك « الفرزدق » مـن صخره ... يقيـم البيـوت وأركانهـا
وهذا « ابـو عمرو » في حلقة ... يـديـر الاحاديث افنانهـا
وذاك « الخليـل » وأتباعـه ... يقيـم القوافـي اوزانهـا
وذا الاصمعي يعب العلـوم ... ويسقيـك منهـن ريانهـا
وباحـة « مربـدهـا » عمـرت ... وشاعرها بـز « سحبانهـا »

أفيحـاء هـل عـودة ترتجـى ... وبعـث يحطـم اوثانهـا
أحقـا نعـود لمسرى النبـي ... الـى القـدس نمسـح أركانهـا
وناسر الجـراح بحـد الصفـاح ... وعنهـا نطهـر ادرانهـا

أحقـا نعـود وتمضي اليهـود ... الـى النـار تتبـع شيطانهـا
أحقا نعـود لمهـد المسيـح ... وتلقـى الاهلـة صلبانهـا

أفيحـاء انـا غـدا عائـدون ... فبالحـق نغلـب بهتانهـا

بغداد ـ كلية الاداب ... عاتكة الخزرجي



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

أبــولــو

« ليس بالشعر وحده نستقل ! »

هذا الشطر ، هو مطلع القصيدة التي دعيت لالقائها في رابطة الادب الحديث بالقاهرة ، في مناسبة مرور العام الاول ، على نكسة حزيران الخطيرة (يونيه ١٩٦٨) ..

ويلاحظ ان هذا الشطر منظور فيه الى القول المأثور للسيد المسيح عليه السلام ، الذي يقول : « ليس بالخبز وحده يحيى الانسان » ..

ولكن شتان بين الموقفين ، وما ابعد الفرق بين المعنيين !

واين الخبز من الشعر ؟!

بل اين الصراع من اجل الحياة الروحية في اسمى مراقيها ، من الصراع من اجل السلطة الدنيوية الباطلة ، واحلامها الزائلة ؟!

وبالمناسبة .. حين نقول اين هذا من هذا ؟. يمكن ان نضع البعيد مكان القريب .. فنقول اين الثريا من الثرى ؟ كما نقول اين الثرى من الثريا ؟ والمعنى في الحالتين واحد ...

والذي ذكرني بقصيدة حزيران ، التي كان عنوانها « الشعر والنضال » .. شيء واحد فقط ، هو ان القافية سمحت بورود كلمة « ابولو » .. فقلت في ابيات احدث بها اقطاب الادب والشعر في تلك الندوة ..

يا رفاق البيان ، وهو عزيز — في زمان به العزيز يذل
نسقوا المهرجان من كل لون — فيه ورد من الربيع وفل
واحشدوا القائلين من كل قطر — ذاك صناجة ، وذلك فحل
وانظموا الشعر محدثا واصيلا — قد رعاه عطارد ، او ابولو
واعرضوه على الجمال او الحب .. — فهذا هو المقام الاجل
لا ابالي وقد بلغت مدى الخمسين .. — انني في ساحة الحب طفل
طال عمري فيما اقول بلا جد — وى ، وطول الحياة شيء ممل
كذبتني الحياة ، لا الحب صدق — في ذراها ، ولا الصداقة اهل

نعم ، ان كلمة « ابولو » في هذه القصيدة ، قد وردت على خاطري .. وانا اتذكر مناسبة اخرى ابعد في التاريخ .. حين كنت شابا في العشرين .. وكانت « ابولو » هي حلم الشعراء الذي حققه لهم يومئذ الشاعر الطبيب المناضل الدكتور احمد زكي ابو شادي .. رحمه الله ..

رأس شوقي مجلس ادارة هذه الجمعية جلسة واحدة ، في اكتوبر عام ١٩٣٢ ، وهو ذات الشهر الذي ترك فيه الحياة ، بعد ان خلد فيها ذكراه الباقية ..

وكانت « ابولو » هي « الدينامو » الذي حرك نهضة الشعر في تلك الفترة .. وقد أحس الناس بموت حافظ في الصيف ، ثم شوقي في الخريف .. ان مصاب الشعر بعدهما جسيم .. فكانت ابولو هي خلية النحل ، التي ظلت تعمل في دأب ، حتى اخرجت لهم الشهد ، وان اختلف طعمه على ألسنة الذائقين ..

وكانت سياسة المجلة ، ونشاط محررها الاول ، هما السبب في مواصلتها العمل ثلاثة اعوام متوالية ، رغم الصعاب والعقاب ..

وكان يهمني من هذه السياسة هذا الجانب الديمقراطي ، الذي لم يكن متاحا في صحف تلك الايام .. فقد اختفت فيها القاب « امير الشعراء » ، وشاعر كذا وكذا .. من الالقاب .. ووضعت النماذج والمختارات الشعرية ، حسب جودتها ، تحت ابواب مختلفة ، دون نظر الى شهرة الاسماء ، او علو المقامات ..

ومن هنا نشر لي شعر كثير في « ابولو » .. ولو اردت لكان اكثر ، ولكني كنت مقلا في زيارة المجلة ، وعرض شعري على محررها ، ولو ذهبت اليه بديوان كامل ، لنشره تباعا .. ومع هذا فقد كان اهتمامي بقراءة المجلة ، ومتابعة نشاطها ، والاهتمام بمعاركها الادبية ، واثرها في حياة الشعر لا يقف عند حد ..

ومن هنا كتبت للمحرر رسائل نثرية .. اعلق فيها على بعض الآراء ، وابدي بعض الملاحظات .. وسمحت ديمقراطية الشاعر الكبير ، الذي بعث لي في بعض المناسبات برسالات خطيرة .. ان ينشر ما ابعث به ، ويعلق عليه في تقدير ، يفوق التشجيع ..

كتبت مقالا بعنوان « معايب الاتقان » .. نقدت فيه الحركة الشعرية ، في جانبيها الفني والخلقي ، كما يراها يومئذ طالب مبتدىء في كليـة الآداب ، استجابة لطلب الدكتور أبي شادي في ترحيبه بكل نقد صحيح يوجه الى تحرير المجلة ، واخراجها .. فعرضت لادبـاء الشيوخ الذين يرى فيهم الشباب في كـل جيل ، عائقا لهم عـن الوصول السريع .. ونقدت مجالس الشباب ، التي يكثر فيها التجريح للاشخاص ، دون التعمق في تحصيل العلم والثقافة .. ثم قلت انني الاحظ في ادب الشباب تشابها وتقاربا .. و « انه لولا بعض نماذج قليلة موهوبة لما كان يعدو هذا الشعر ان يكـون صورا متكررة ، يتناقلهـا الشعراء من بعض الى بعض في الاعداد المختلفة ، مـع ان الشعر الفذ الموهوب الذي له الحياة غير ذلك » ...

وقد رد محرر المجلة على ذلك بتعقيب قال فيه :

« احسن الكاتب الفاضل بما وجهه من نصح عـام الى الشباب ، ونحن نعمل من جانبنا علـى الحيلولة بـين بيئة ابولو وبين « ادباء » القيل والقال ، عاملين دائما على اقصائهم عنا ، واما عـن ادبـاء الشيوخ ـ ومعظمهم اصدقاؤنا ـ فقد آثروا ان يتجهـوا اتجاهنا في تشجيع الجيد من ادب الشباب ونشر نماذجه المختلفة ، تدعيمـا لادب الحاضر ، وتهيئة لادب المستقبل ، ولذلك افسحوا المجال لاولئك الشباب .. ونحـن لا ننشر مـا يشاء الشباب ، ولكننا ننشر ما نختاره نحن من ادبهم بعد النقد الدقيق والتهذيب عند الضرورة ، وقد اشرنا من قبل الى طريقتنا في ذلك .. ونعتقد ان ما ننشره من النماذج كثير التنوع في المرامي والمعاني والاخيلـة والاساليب ، وليس كثير التشابه كما يظن حضرة الناقد ، وكم كان بودنا لـو وجه نقده في صراحة الى قصائد معينـة ، فالفائدة كـل الفائدة في النقد التدليلي الصريح . وامـا عـن قصر اهتمامنا على النقد الفني الذي يوجه الينـا دون المبالاة بما عداه فهو خطتنا العامة ، ولـم نخالفها احيانـا الا لاعتبارات ضرورية تتصل بجهودنا الادبيـة وعلاقاتهـا ببيئات الادب مما يستحق البحث والتسجيل » ..

على انني كتبت تعقيبا آخر عـلى هـذا التعقيب الشامل للدكتور ابي شادي ، فنشره في العـدد التالي تحت عنوان « شعر الشباب » .. حاولت ان اوضح فيه بعض ما قصدته ، فقلت :

« اقدر كل التقدير تعليقكم على رسالتي عـن شعر الشباب ، وان كنتم طالبتموني بأمثلة صريحة على ما أرى من تشابه في النماذج ، فاني ارى الخير في عدم ذكرها .. فصحيح ما قلتم من ان هذا الشعر كثير التنوع في المرامي والمعاني والاخيلة والاساليب ، ولكن ما قصدت اليه هـو انه كثير التشابه في الروح ، ولا اظـن ان جميع الشعراء يتحدون في الروح ، ولاضرب لكم مثلا بسيطا .. كـان الشاعران شلي وبيرون متعاصرين ، وكانا طليعة الشباب المجدد القوي في عصرها ، ولكنهما اختلفا في الروح ، فكان شلي يفني فناء تاما في حب الحياة والاندماج فيها ، بينما كان بيرون يكره ضوضاءها ، مؤثرا العزلـة والانفراد .. حتى ان ضوضاء الحياة تكاد تقتله كما يقول شلي نفسه معرضا به مـن قصيدة « ادونيس » : « فـوق الزهـرة الذابلة تبتسم الشمس المميتة بالانوار » ..

فهذا هو ما قصدت اليه ، ومـن الخير للنهضـة الادبية ان ينبه الشعراء الشباب الى ذلك ، فلا يصدروا الا عن احساساتهم ، غير متأثرين روح الغـير ، وبذلـك يكون الصدق عندنا أساسا في التعبير عن الشعور » ..

بهذه الروح العالية كان الدكتور ابو شادي يوجـه تلك المجلة الادبية الفـذة في عالـم الشعر ، وكان يفتـح صدرها للشباب ينشرون شعرهم ، ونثرهم ، ويعرضون للنقد الادبي والدراسات الموضوعية . مع سلامة التوجيه ونبالة القصد ..

واذا كانت هذه هي صورة ابي شادي المطبوعـة في الذهن ، من مرات قليلة لقيته فيها في دار المجلة .. فهناك صورة اخرى لا انساها ، يوم زار كلية الآداب ، بدعوة من قسم اللغة الانجليزية، والقى محاضرة يرتجلها بالانجليزية عن الشاعر وليم بليك .. ويطيب لي ان انقل هنا فقـرة من الفصل الذي كتبته عنه ، وذكرت فيه هذه الواقعة ، من كتاب لم اتـم كتابته بعنوان : « حديث الشعـر والشعراء » ... قلت :

« كان ابو شادي رجلا سمحا كريمـا فاضلا . واذا كنت قد ذكرت انني كنت طالبا جديدا ، ملتحقا بكليـة الآداب ، في الوقت الذي ظهرت فيـه المجلة .. فـان أبا شادي كان اول استاذ لقيت منـه سماحة وتشجيعا على قول الشعر ، ونشره .. وهو اول من تلقيت منـه خطابات خاصة كتبت بعناية ، واشتملت على روح أبوة.. وهو اول من سمعت منه ان الشعراء جيلان ، وان الجيل السابق يتمنى من كل قلبه ان يتقدم الجيل التالي ليحل محله في اداء رسالة الشعر عـن جدارة واستحقاق .. وكنت ادرس الادب الانجليزي وقتئذ في الكلية ، وابـدى الشاعر الكبير الذي كانت ثقافته انجليزية ، رغبته في ان يلقي محاضرة على طلاب الكلية . ورحب اساتذة القسم ، وكلهم من كبـار اساتذة الجامعـة في ذلـك الوقت : سنكورت ، وسكيف ، وديفز ، وتيلـور ، وباكستون ، وكراير ، واسيري .. ولست انسى ان الدكتور ابا شادي حضر الى الكلية ذات صباح ، فاستقبل احسن استقبال، ثم لبس الروب الجامعي ومضى في وقار الى المدرج الذي احتشد فيه الطلاب ، فالقى محاضرة يرتجلها بالانجليزية عن دراسته للادب الانجليزي ، وشغفه بـه ، وتقديـره للشاعر وليم بليك بصفة خاصة .. وقـد زاد تقديري للشاعر بعد هذه المحاضرة ، كما زاد تقديره لي ، اذ كنت احد المنظمين لالقائه لها ، وتعرفه علـى كبار الاساتذة ،

زلزال ... وزلزال

مهداة لصديقي الشاعر الكبير فارس سعـــد

الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

جنت الارض فارتمى حقدها الا ... عمى لهيبا يشوي ضحايا الانـام
رجفت رجفة تداعت لهـا الشم ... فلـم تبـق فوقها مــن دعـام
أزعجت شاهق البروج ، فاضحى ... في سحيق الاغوار بعض الحطـام
كسف مــن منازل متخمـات ... برمـام تنحط فـوق رمـام
وشظايا اللهيب في الـدور جن ... حاقد يؤذن الـورى بانتقـام
وجهـه الاسود الرهيب تلظت ... عينـه فيه ، شعلة مــن ضرام
رجفت رجفـة أبـادت بنيهـا ... وانتهت بعدهـا بغـير سـلام
قلت أمـاه أي جـرم شنيع ؟ ... ترضعين البنين ثــدى الحمـام
تجعلين الافـلاذ مضفـة شد ... قيك كأن الافـلاذ بعض الطعـام
تبعثـين اليبـاب في ربعـك الآ ... هـل بعـد ائتلاقـه البسـام
أيريح الثـور المعظـم قرنيـه ... لـيردي الآلاف بالاعــدام
أنت شوهت كـل مرأى جميـل ... مـن روابيـك والقصور العظـام
أي انثـى يـا أم ترضى بتشو ... يـه فتغـدو أضحوكة الايــام

وحديثه الى الطلاب » ..

فاذا نظرت بعد ذلك الى الشعر ، والنماذج القليلة التي نشرت لي في ابولو ، وجدت ولا شك تطورا في هـذا الشعر ، في مدى الاعوام الثلاثة ، نحـو الصقل والاشراق ومتابعة خطوات التجديد وتتئد في حذر .

كانت القصائد الاولى ، تعد من القصائد التقليدية .. رغم جدة موضوعاتها ، وطرافتها .. واولها قصيدة « زوبعة في السودان » .. وهي تصوير لعهـد الطفولة الذي تحدثت عنه في الكتاب المخطوط بعنـوان « النشأة الاولى » الذي اشرت اليه من قبل ..

وكانت الثانية .. بعنوان « الحياة والشعـر » .. وقد اخر ابو شادي نشرها الى العام التالي ، ثم بدا لـه ان ينشرها بعد ان حذفـمنها ابياتا عدها مديحا في المجلة، وصاحبها ، كما اخبرني بذلك .. وكان مطلعها يقول :

الا فاضمن لشعرك مــن يذيـع ... فـان الشعـر اكثره يضيـع

وانا اسجل الآن هذا البيت ، بعـد مرور السنوات الطوال ، لئلا يضيـع ...

اما القصائد المتطورة في آخـر الفترة .. فمنهـا قصيدة « الالوان » .. وللالوان قصة فلسفية نشأت في حدائق الاورمان المحيطة بالجامعة، مع ظهور فصل الربيع من عام ١٩٣٤ .. وقد اخذت الازهار الجميلـة تتسابق في اظهار جمالها ، بين حمـراء ، وصفراء ، ونرجسية ، وبنفسجية .. حتى احاطت بخيال الشاعر ، فلونت كل شيء في الحياة امامه ، بلونها الزاهي ، الجميل !

ومنها قصيدة « حرية الشاعر » .. وهي دعوة الى الحرية ، في صورة الفن ، وهي ثنائية القوافي ومطلعها :

حرروني كمـا تحـرر شعـري ... فلقـد ضاق بالتقيد صـدري
واتركوني كمـا اشـاء قليـلا ... فكفانـي انـي اعيش لغيري

من هذه القصائد المتطورة ، بعـد ان صهر خيـال الشعر في اتون هذه الحركة الشعرية الدائبة ، والحيـاة الادبية الصاخبة ، كانت النواة التي ظهر منها بعد ذلـك « اليخت الذهبي » .. في اوائل عام ١٩٣٦ ...

فما هو « اليخت الذهبي » .. وايـة رحلة كانت تعدها له الاقدار ؟!

مصر الجديدة ... **عامر محمد بحيري**

قلبك الطين من جماد فما ير   ثي فتيلا لصرخة الآلام
لو تمور الدم الدفوق به يو   ما ألانته نظرة استرحام

نصت الارض رأسها في امتعاض   ثم صاحت : بني ماذا تقول
خانك المنطق السديد فثرثر   ت هراء وما لديك دليل
ان توهمت رقة وحنانا   في قلوب الورى فانت جهول
هي مثلي من الجماد واقسى   غلظة منه كيدها الموصول
تذبحون الانعام لا مهجة تر   ثي التياعا ولا دموع تسيل
حسبكم ان لحمها مشتهى الحلق   لكي يسفك الدم المطلول
« سلخاناتكم » كأبشع زلزا   ل رهيب، تحار فيه العقول
ان اقمتم اعراسكم فبغير اللحم   لا يستريح منكم أكول
لا تقام الافراح الا بسفك الد   م ! هذا هو الشعور النبيل
لا ضمير يستشعر الضيق بل كا   ن مع الذبح رقصة وطبول
أين عطف القلوب ـ ان صح ماقيل   عن العطف ـ والبرىء قتيل
أين نبض القلوب بالرفق لو كا   ن لديها من الحنان فتيل
دعك من محنة الذبائح وانظر   حيث لا يرحم المثيل المثيل
يشعل الفاجر الاثيم لظى الحر   ب فيطغى زلزالها ويهول
ظامىء كأسه الدماء وما ينقع   منه مدى الزمان غليل
كلما مزقت قنابله الحمر جسوم   الورى مضى يستطيل
كلما دمر المدائن عدوانا   تهادى كمن سقته الشمول
وله الفخر أن أباد البرايا   وله الحمد والثناء الحفيل
بطل جاوز الذرى وتغنى   بانتصاراته الوقاح الجيل
أهلك الناس حيث لم يبق الا   أيم أو مشوه او ثكول
او يتيم طفل مضى أبواه   أو عجوز شيخ عداه الكفيل
النواح الطويل يخرق اذنيه   فلم يثنه النواح الطويل
ما أنين الاقوام في رهب المحنة ؟   ما الدمع ساخنا ؟ ما العويل
انها تصنع البطولة للطغيان   فهي الطغراء والاكليل
أين نبض القلوب بالعطف ان كا   ن لديها من الحنان فتيل
ان زلزال حربكم برع الزلزا   ل في الارض فهو ضاو هزيل
أقلوب الورى من الحجر الصوان؟   أم قلبي التراب المهيل
قد يكون الزلزال مني صدى حر   ب بها ، يرجف اتزاني الثقيل
جنبوا الناس شركم تأمنوا الزلز   ال مني ، هذا هو المعقول

قلت أماه ننتمي لك اصلا   فكلانا مؤاخذ باتهام
تسرب الطين في دماء البرايا   ويرى جامدا وراء العظام
فار في النبض فاستحال اشتهاء   لافتراس ، ورغبة في التهام
وجرى في العروق فهو حقود   ناغرات تذكى شرور اللئام
وتقود الطغام للساحة الحمر   اء تنجاب عن بلاء طام
ان نشأنا من الرغام فانا   أبدا نحتذي صنيع الرغام

الفيوم ـ مصر   محمد رجب البيومي

تضحكون مني .. تبتسمون في وجهي .. او من وراء ظهري .. تخفون ضحكاتكم .. تسلقونني بالسنة حداد .. اتوارى منكم خجلا .. اخشاكم .. ، هل تعتقدون ذلك ؟.. سحقا لكم ولعالمكم الغريب المليء بالمتناقضات ... من انا ؟.. من انتم ؟.. انتم يا هؤلاء يا قطاع الطرق .. يا ايها الناس ، يا بني آدم .. يا ابناء البشرية .. يا اخوتي .. يا اولاد عمي .. يا شقيقاتي يا عماتي .. يا خالاتي .. انتن مثل الجميع .. نعم من انتم ؟ وانا من انا ؟ الى من انتسب .. انا من ؟

انا ايضا اسأل واتساءل يا اخوتي .. يا اخواني انا متكلم اعيش لان الحياة ارادتني ان اعيش واحلق .. لانني اريد ان احلق .. اريد ان اكون صادقا .. هل الناس والحياة والصراع الذي يدور في هذا العالم فيه صدق .. فيه واقع .. فيه كبرياء .. ثم انا من اكون لكي اسجل للعالم آلامه واحلامه .. انا .. ثم لماذا انا بالذات ؟. ولماذا لا يكون هو او هي او اي انسان آخر يمت للناس وللحياة بصلة .. كما يحب ويهوى بل كما يصور له وهمه وخياله .. سأكون صادقا .. سأحكي كل شيء .. سأسير وفق كل منطق اختاره البشر اسلوبا لهم ولحياتهم ولنضالهم ولطريقة معيشتهم .. الحياة .. الناس .. الحب .. الامل البقاء للاصلح .. صراع كتب على الانسان ولكن لماذا كتب على الانسان وحده ؟.. وهل لم يكتب على الحيوانات مثلا ؟ الصراع والبقاء والخلود والموت والفناء كتب على كل موجود في هذا الوجود ..

اذن كيف تسول لي نفسي انا المدعو لا شيء بأن اكون حارس الايام وشاهد التاريخ ورمز الوجود الانساني الممزق الضائع في سراديب الاوهام او الاحلام .. السنا جميعا اسطورة كبرياء ووجود ونضال ثم نهاية حتمية ومعروفة لنا حتى قبل ان نولد .. لاننا نولد لنموت ونموت ليولد غيرنا .. اسلوب اتخذته الحياة سنة لها واتخذه العالم طريقا .. ولم يكن العالم حرا في اختيار ذلك الطريق .. ولكنه اختير له حتى قبل ان يولد ذلك العالم .. الوجود الغير موجود الممزق الذي يمزقه الانسان نفسه بشروره وآلامه .. بصراعه وكفاحه من اجل البناء وترتفع على انقاضه اشياء اخرى .

عالم غريب متناقض حتى مع الوجود نفسه .. ثم اتحدث انا ويأتي حديثي وكأنه فكر رجل مجرب ... رجل كأنه الزمن



الصعلوك

بقلم السيد ابراهيم

وانسان كأنه التاريخ ولكن هل ذلك هو الواقع فعلا ؟ هل ذلك ما احسه انا نفسي ؟ بالطبع لا .. فانا لست سوى رمز لما هو موجود .. ارى الانسان فيحبه قلبي احس بانتمائي اليه .. ثم يطعنني الانسان فأخافه واخشاه وانطوي على نفسي .. اتقوقع ثم لا البث ان اجد نفسي وحيدا ولان قدري ان اكون اجتماعيا فانني اعود الى الانسان.. الى الانسانية .. الى احضانها أتلقى الصفعات والتقولات والشائعات ثم أحاسب حسابا عسيرا عن ذنوب لم ارتكبها ..

قصة

عالم غريب مسعور مسحور وواقع مدهش جذاب رغم الالم .. رغم تحطم الامل .. رغم معرفتنا بأن الوجود واللاوجود يتساويان .. ولكن لماذا استمر .. بل وماذا اريد ان اقول ؟.. الذي اريد ان اقوله ببساطة انني انسان .. قد اكون تافها وقد لا تكون لحياتي قيمة فلست موظفا كبيرا ولا عضوا في حزب علني .. ولا اشترك في تنظيم سري .. لست مهما لانني لا انتمي الى نقابة اقصد شلة معينة مثلا ..

الواقع واقع .. والوجود موجود .. وانا من انا ؟ انا ذلك الشيء الموجود الشيء الذي يحاسب في يوم ما حساب الملكان وقبل تلك النهاية وقبل ذلك اليوم بل وقبل البعث وعودة أهل الدنيا الى رحاب السماء .. قبل ذلك احس بالناس يحاسبونني .. يحاسبون غيرهم ولا يحاسبون انفسهم .. يدعون اشياء لا يدعونها لانفسهم .. نعم انا ذلك الكم المهمل .. ذلك الوجود الممزق .. ذلك الشيء الذي يتحمل اثقال العالم ووجوده وكيانه .. انا الموجود واللاموجود .. ثم ماذا يقولون ؟..

انا لست حسيبا نسيبا .. لست في مركز قوة ولا سلطة .. لست سوى ترس في آلة ضخمة .. بل ترس يمكن الاستغناء عنه فهناك عشرات الآلاف من التروس تتمنى ان تقوم بدوري التافه البسيط .. صحيح انا اعيش كما يعيش آلاف غيري .. مرتبي الذي لم يعد سوى ذكرى تعسة .. واقعي الذي ليس سوى صورة ممزقة لواقع عشرات المئات والآلاف ، والملايين في العالم كله .. وبلدي الذي يحاصره جيش الجراد الذي تسلل بليل ..

انا المدعو لا شيء مطالب بنفقات اسرة ضخمة .. زوجة واولاد وخالات وعمات .. مطالب بأن أضحي من اجل اسرة ومن اجل اسرتي الكبيرة وطني الذي يحاصره

جيش الجراد .. حياتي ملك لبلدي .. مرتبي الذي لم يعد له وجود لا يحقق لي ان اطالب به .. وطني في محنة .. سمعت انه في بلاد الانجليز وزمن الحرب رفعوا مرتبات الناس .. مجانين هؤلاء الانجليز .. كيف فعلوا ذلك ؟ اقاسي ويقاسي غيري لتمتلىء خزائن الرأسماليين وتجار الحروب .. مساكين الناس .. مساكين حتى في امريكا .. الجوع والفقر ومشاكل الملونين .. احياء وقرى ومدن يسيطر عليها الفقر والمرض.. حتى في امريكا بلد الفانتوم وغزو الفضاء الناس مساكين ..

كتب علينا ان نقاسي ومن واجبنا ان نقاسي لتعيش بلدنا .. بلدنا في محنة .. وحتى تنفرج الازمة لا بد ان نضحي .. سوف نحطم جيش الجراد .. زمان حطمنا جيش جراد كبير بقيادة زعيم التتار واليوم سنهزم جيش التتار الجديد بقيادة ديان .. جيش الجراد سيتراجع .. نحن في حاجة لكل قرش .. لكل جهد لا بد ان نضحي .. جيش الجراد اكل الاخضر واليابس .. كل ذلك سوف يحتاج لعلاج .. لمشروعات .. لسنوات طوال .. سنضحي .. لا بد ان نضحي ..

انا انسان مسحوق .. سمعت ذلك من احد الناس .. صراع كبير كتب علي ان اقاسيه سنوات طوال .. حتى قبل ان اولد سمعت عن محن كثيرة .. قرات وعرفت اشياء كثيرة عن بلاد سحقها الطاعون .. جيش الجراد العن من الطاعون .. شعوب غير شعبي قاست كثيرا .. أناس غير ناسي قاسوا كثيرا .. أنا لست وحدي الذي يقاسي ما الذي اريده ؟؟ انا نفسي لا اعرف .. هناك عشرات بل مئات .. هناك الكثير من البشر في كل ركن من اركان الدنيا يقاسون .. بل ان الشر في طريقه الى القمر .. حقا هل ستستفيد البشرية؟ قد تستفيد

ولكن ستنتقل العدوى الى القمر والى غيره من الكواكب .. الى الكون الهائل .. الانسان رسول السلام هو نفسه رسول الحرب .. رسول الشر .. قد يرسل جيش الجراد الاكبر قواته الى القمر .. ثم يدعي انه يفعل ذلك باسم الانسانية .. ثم يتحول الامل الى ألم .. الى رعب .. الى حياة ثم موت .. الى دمار .

اساطير .. اوهام .. احلام .. افكار حائرة .. انا اسجل .. افكار لا املك سوى الكلام .. انا ...... يدعونني .. انا ممزق .. محطم ..



السيد ابراهيم

●

حطام انساني .. ملابسي مثلا او على سبيل المثال أصبحت اسطورة لانني من كثرة ما لبستها اصبحت ذكرى .. الطعام تهفو نفسي الى اي شيء حقيقة ان القائمة التقليدية .. فول طعمية .. طعمية فول .. اسمع عن الترفيه .. عن التسلية .. عن المسرح .. عن السينما .. عن الثقافة .. وابتسم لكل تلك الاشياء .. هذه الاشياء موجودة .. هذه الاحلام تحققت

ولكن ليس بالنسبة لي انا شخصيا .. قد يتمتع بها غيري .. قد تكون ملكا لطبقة النصف في المائة التي ما تزال موجودة .. التي تملك كل شيء .. التي تعيش .. اما انا وغيري الآلاف فلا يملكون سوى الابتسام .. سوى الافكار .. سوى التنهدات .. سوى ان يسجلوا خواطرهم كما اصنع ولكنني مللت ...

أمس صرخ الولد الصغير في وجهي وقال :

– اريد تفاحا .. وفوجئت .. ذهلت .. تفاح ؟

شيء غريب .. من الذي سمم افكار الولد .. لو طلب برتقالا مثلا كنت قد وضعت خطة خمسية مثلا ووازنت الايراد والمنصرف ووفرت بنودا حتى احقق له رغبته .. اما القفز الى القمر .. اقصد التفاح.. فهذا هو الخراب .. الخراب .. واجتمع مجلس العائلة وقرر مناقشة الصغير وسؤال من هنا وسؤال من هناك وضغط على الولد ثم تساؤل واسئلة حتى اقر الولد واعترف بأنه كان يتجول مع خالته ام مدبولي في سوق باباللوق ورآها تمر على اقفاص الفاكهة تلقي النظرة وتتنهد وفعل مثلها وتوقفت عند قفص كبير وتنهدت تنهيدة انخلع لها قلبها وفعل الصغير مثلها وصرخ البائع في وجهها وهو يبرم شواربه .

– يا ولية يا مجنونة .. الدنيا ضاقت في وشك .. طيب اطمعي في موزة .. في برتقالة .. اما تفاح .. وامريكاني كمان فدا جنان .

وربت على ظهرها بيده الخشنة وقال ساخرا :

– في المشمش يا تانت بهانة .. ها .. ها ..

وانسحبت خالة الولد وجرته بيدها واحس الولد ان التفاح شيء خطير فبكى وظل يردد بنغمة مضبوطة .. تفاح .. عايز تفاح .. دون ان يدري ماذا تعنيه كلمة تفاح

ودون ان يفهم ماذا يريد وهكذا فجر تلك الكلمة في وجهي مما اضطرني الى عقد مجلس حربي وظللنا في نقاش حاد حتى استطعنا ان ننتزع من الصغير اعترافا بالموضوع .. واصدرنا حكمنا بحبسه وعدم خروجه مع خالته ام مدبولي حتى لا تفرغ عينه وحتى لا يصبح فكره امريكانيا وحتى لا يتطلع الى القمر .. اقصد الى التفاح .

نعود الى واقعنا .. الى حقيقة وجودنا .. الى حياتنا .. الى واقع حياتنا .. نعم كل ذلك يبدو كأنه خيال ولكنه واقع ثم ما هو الواقع ؟ لست ادري . هل الواقع هو نظرات الناس .. هو تطلعاتهم .. هو ما يشغل رؤوسهم .. ما الذي يثير أي انسان عندما يرى الآخر في سعادة .. انا مثلا ما الذي اثارني في ذلك الانسان الذي كنت اراه جالسا في كبرياء بجوار باب المنزل الذي أسكنه وجهه يضحك وعيونه تلتمع بالسعادة ثم اقدامه المشققة العارية وهي تلتهم اشعة الشمس ثم وهو يتحسسها في سعادة وكأنه يتابع دقات قلبه .

انسان سعيد جلسته المفضلة القهوة الصغيرة .. يلتهم سندوتشاتالفول والطعمية ويقضم قطعة البصل الاخضر ثم يلقي في جوفه بكوب الماء ويبتسم ثم يدق على صدره النشوان بيده السمينة ثم يطلب كوبا من الشاي بصوت جهوري وسرعان ما يكون كوب الشاي بين يديه فيلقيه في جوفه رغم حرارته ثم يتمدد في سعادة يحتضن اشعة الشمس كالقطة السعيدة .. لم اره مقطبا او تعسا دائما في سعادة ..

كنت اشير عليه واقول ضاحكا يا له من صعلوك .. انسان سعيد فيلسوف واقعي ... ولكن هل هو حقا صعلوك ؟.. وهل هناك فرق بينه وبين المدير العام مثلا ؟ اعتقد ان المدير العام لو رآه لحسده على ما يتمتع به من سعادة وهناء ..

لماذا تذكرت الصعلوك اليوم ؟ هل لانني اريد ان اكون صعلوكا ولو ليوم واحد ؟.. ليتني حصلت على هذا الشرف .. الولد عاد الى حنانه .. فجر امس قنبلة .. أسرع نحوي ثم القى بجسده الغض في احضاني وقال بصوته الحالم (بابا .. عاوز اطلع القمر) .. القمر ؟.. يا خبر .. الواد اتجنن .. سبق له ان سبب لنا ازمة عندما طالب بالتفاح وحسبته يطلب القمر .. هذه المرة لم يعد يقتنع بما يشبه القمر فيطالبني بأن يسافر الى القمر .. وبذلت جهود الجبابرة لاطهر افكاره التي تسممت بعد زيارة خاطفة لباب اللوق واليوم كيف اطهر عقله من احلام السفر الى الفضاء ..

الولد بالطبع تعرض لعملية خطيرة .. واخذت اتساءل واتحدث واصرخ ثم بدات اهدهد افكاره واطمئنه ليعترف لي .. وقال الولد ببساطة .. الامريكان مسافرين القمر وانا لازم اطلع القمر ...

يا ابن الـ .. دول معاهم فلوس .. دولارات .. بلايين صبوها في شرايين الجشع التجاري يسعون للسيطرة عن طريق القمر .. وانت يا ولد ماذا تريد ؟.. هل تريد ان تكون امريكيا ؟.. واصدرت امرا بعدم توجهه الى القهوة ومشاهدة التليفزيون .. الولد خطير .. افكاره افكار جيل النصف الثاني من القرن العشرين وانا افكاري تدور حول مأساتي .. مأساة الانسان .. الفرد .. حول واقعي .. حول الناس والحياة .. حول الارض ومن عليها .. انا بالطبع متخلف .. الولد ذري .. صاروخي .. الولد احسن مني .. تطلعاته مدهشة .. احلامه لا حدود لها .. عندما كنت احلم بركوب دراجة مثلا كنت اتلفت في حذر حتى لا يسمع افكاري احد .. والولد يحلم بالتفاح ثم بالصعود الى القمر مرة واحدة ولا يخاف من اي شيء .. افكاره يطلقها على سجيتها .. آماله يريدها .. لا ينكص على عقبيه ابدا ..

اما انا الجيل الآخر تبهرني رؤية انسان واقعي حتى ولو كان صعلوكا بمنطق المقاييس الارضية البالية .. الفقر والغنى .. المنطق الذي لفظه الجيل الذري .. جيل التطلعات .. غريب امري .. لماذا لا أحلم بأن أكون صعلوكا حقيقيا ؟.. لماذا لا اجلس على القهوة واتمدد في الشمس واقضم قطعة البصل الاخضر ثم اطلب الشاي والقيه في جوفي .. سأحقق حلمي .. انها بداية .. بداية فقط ... من يدري .. ربما أصبح مثل الولد ..

واسرعت نحو القهوة .. اردت تحقيق حلمي ولكن ابني اسرع نحوي ثم قال والدهشة ترتسم على ملامح وجهه الصغير .. بابا .. عيب الجلوس على القهاوي .. بابا .. انت عامل كده ليه ؟ عيب .. ماما بتقول كده .. احنا ورانا الدرس بتاع المدرسة .. يالا بينا .. الولد عملي .. احسست بالخجل منه .. تبخرت سعادتي .. نظرت بحسد نحو الصعلوك .. كان يهرش ظهره ويطارد حشرة تداعبه .. وانتهى من المطاردة قبض عليها ثم تجشأ وطرقع بأصابعه في الهواء ثم طلب واحد شاي ..

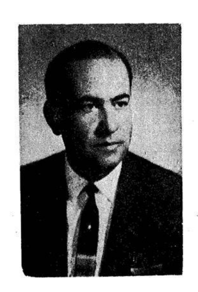
الولد يجري امامي وانا خلفه اسير والتفت الى الوراء .. يشدني الوراء .. يشدني الصعلوك .. اقصد الانسان .. الصعلوك يبتسم بسعادة وانا اكاد ابكي .. الولد يناديني .. بابا .. الدرس وانا اكاد اصرخ واقول .. الصعلوك .. انا .. وجدتني اسأل نفسي .. الماضي .. الحاضر .. المستقبل .. اي شيء لا نريد شيئا .. نريد ان نعيش .. آلاف يعيشون ولكنهم موتى .. ووسط تلك الانقاض يوجد الانسان .. المستقبل .. الامل المدهش يوجد الانسان السعيد حتى ولو كان صعلوكا .

القاهرة **السيد ابراهيم**

اعتــذار منبري

فــؤاد الخشــن

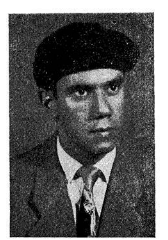
الشويفات ــ لبنان



سيداتي وسادتي
ايهـا الحفل ...

معــذره !
ان سرى فيكم القنوط
ليس في احرفي ((سعوط))
للانــوف المكوره !
وقوافي لا تثـير
ــ ما تشاءون ــ حكـة
في الاكف المهيـاه
فلفل الهنــد غائــب
لذعه عــن قصائدي
والشعارات مطفـاه !

زلتي انني اريق
ذائــب القلب ...
كالشمــوع
اطعم الحب من دمي
انجم الشوق والحريق
ناسيا شهوة الجموع
لهــوى الجلد ...
والفــم !
نبرة الجهر والطرب
منذ ان وقع الخليل
وسرى حاديــا يميل
راجزا في رمالنا
لــم تــزل
ــ لانفعالنا ــ
تصدم الجلد والعصب !
وترى الغوص في النفوس
لدرار مخبــأة
ــ خلف ما تبلغ العيون
في مدى الكشف واليد ــ
رحلة التيه والجنون
في دنــى قيل مظلمه
لا يرى نارها المجوس !
حيثما ينبت الغد
زهرة من غرابــة
تفتح اللاهف الطريء
لخطى الداخل الجريء
في التخوم المحرمــه
ورؤى تشعل الظنون !



محمد احمد العزب

الدكتور الشرباصي .. والمسرح الديني

بقلم محمد احمد العزب

★

الدكتور احمد الشرباصي واحد من اولئك الواهبين في حقول كثيرة : في البحث الاكاديمي .. كما في رسالتيه الجامعيتين عن شكيب ارسلان ورشيد رضا وفي الابداع الادبي كما في كتبه الباكرة : محاولة وبين صديقين وصلوات على الشاطىء ومذكرات واعظ اسير وفي الفكر العقائدي .. كما في كتبه امين الامة ابو عبيدة والنيل في ضوء القرآن وفدائيون في الاسلام ويسألونك في الدين والحياة وفي التحرك كذلك من خلال العمل المسرحي لترسيخ فكرة يعتنقها او تضويىء مرحلة بذاتها كما في اعماله المسرحية المطبوعة بالفعل : مولد الهدى ومسرحيات اسلامية والحاكم العادل وصراع واعماله المسرحية التي لم تطبع بعد : فارس الشهباء وسلطان الطعام وبطولة وعدو السلام .

وقد لا اجدني هنا مشدودا الى الحديث سوى عن الجانب الفني او قل جانب التحرك من خلال العمل المسرحي في شخصية الدكتور الشرباصي ليس لان هذا الجانب هو أضوأ جوانب العطاء في فكر هذا الرجل فربما كانت جوانب اخرى في فكره اثرى من هذا الجانب ، واروع امتدادا ولكني تخيرت هذا الجانب بالذات لما ينطوي عليه من رمز آمل ان يتراحب ويتأكد حتى يشكل في النهاية ظاهرة رائعة تأخذ مكانها على ارض الابداع المكتنز بالخصب المحتشد بالامل الهادف الى مزيد من التغلغل في مناطق البقاء ان ايماني لا يحد بأن رجل الدين ـ والدكتور الشرباصي واحد من طلائع هؤلاء الرجال ـ حين يعمق صداقته بالمسرح انما يعطي للمسرح كنوزا رائعة بلا حدود واذا كان ميلاد المسرح في حضن الدين حقيقة تاريخية فان عودة المسرح الى حضن الدين يجب ان تعود حقيقة تاريخية اخرى فقد نرتعش اعجابا امام المسرح الملحمي او امام المسرح المأساوي او امام المسرح الملهاة ولكننا في النهاية نظل معلقين في مقاصل احساسنا بخرافة هذا المسرح بجدبه المضموني ، لا من حيث هو خلق فني [illegible] من [illegible] خواء تاريخي لا يرتكز على ارض من حقائق التاريخ . أعني اننا قد نعجب بمسرحية كمسرحية « في انتظار جودو » لصمويل بيكيت بما هي عمل طليعي رائع بلا حدود ولكننا نظل مع اعجابنا الهائل بهذا العمل مشدودين الى حقيقة ان لا حقيقة هناك ...

ان المسرح والزمن والشخوص في هذه المسرحية غير قابلين بالمرة لضرورة ان يكونوا في اي مستوى معقولي نشاء او يشاءون . ومن هنا .. تبرز أهمية الانعطاف بالخلق المسرحي الى المجال الديني على مستوييه الفيزيقي والميتافيزيقي لضمان مزيد من الجدل الانساني والكوني .. جدلا لا يتحقق بدونه للعمل الدرامي أي بعد من أبعاده على الاطلاق . أعني مرة اخرى اننا في المسرح الديني أمام حقائق تكاد من فرط حلولها الوجودي ان تتشيأ .. وتكاد من فرط حلولها النفسي كذلك ان تحرك محاور الاشياء وفي هذا المجال يمكن للكاتب المسرحي ان يقيم حوارا لا ينتهي بين الماضي والحاضر من جهة وبينهما وبين المستقبل من جهة ثانية وبينها جميعا وبين ميتافيزيقا الكون من جهة ثالثة .

ان هذا الاستقطاب الرائع لعنصر الزمن وما وراء الزمن يعطي الكاتب المسرحي مسرحا بلا آماد مسرحا يستطيع فيه الكاتب ان يسقط الماضي على الحاضر والحاضر على المستقبل والمستقبل على الماضي وان يتحرك من خلال ما حدث للاطلال على ما يحدث او على ما سيحدث .. وان يفقد شخوصه هوياتهم جميعا فاذا بالانسان الغابر يتحدث من خلال حنجرة الانسان الآني واذا بالانسان المعاصر يطل من خلال عيني انسان الاتي بلا حدود وفي هذا (التدامج) الزمني تنتهي خرافة الحوائط الاربعة التي تحبس عصرا ان يكون في عصر آخر .. وتمنع انسانا ان يعانق انسانا في قرن من القرون .

ان النمط الرائع الذي كان في القرن الماضي لا يمكن ان يتخطى حواجزه الى واقعي الآني ـ من خلال حتمية نفسية بحتة ـ الا اذا هدمت كل جدران الغباء الوهمية التي تفصل بيني وبينه بمعنى انني لا اوافق على ان يظل فارس كخالد بن الوليد عائشا وضعيته التاريخية المؤطرة .. فصلا تقرؤه من فصول تاريخنا الغابر .. لا بد من انبعاث جديد لخالد بن الوليد .. لابي دجانة .. للبراء .. لآلاف من اولئك الرائعين الذي نجرم في حقهم تماما حين نحيلهم الى مجرد فصول في كتب التاريخ .

والمسرح .. والمسرح وحده هو القادر على بعث هؤلاء الرائعين من جديد ، ان السرد التاريخي لحيوات هؤلاء يحيلهم الى (انماط يابسة) لانهم يتكلمون لغة غير لغتنا نحن ويفكرون بعقولهم هم وليس بعقولنا نحن ويتحركون من خلال احساسهم هم بكونهم ، وليس من خلال احساسنا نحن بكوننا نحن ، ولكن المسرح يعطيهم وجههم الآخر تماما او قل انه يعطيهم وجههم المتدامج في وجوهنا جميعا . ان المسرح ينطقهم بلغتنا ، يسقطهم على افراحنا وجراحنا ، يعطيهم احساسهم بالعصر وبمأساة انسانه الزاحف على كل الجليد الى مناطق التوحد والتدامج .. الانتماء والرفض .. الموازة والتعامد .. وهو في كل اولئك جميعا صائر الى بوار ، ما لم يتوكأ في ظلمة الرحلة على حسه التاريخي العاصم من كل انهيار .

الى هنا .. أكون قد بدأت اول مراحل الرحلة مع الدكتور الشرباصي والمسرح الديني ... فالمسرح الديني مسرح ينحني على رصيد من التاريخ العظيم واعني هنا بالعظيم ليس مجرد اضفاء اردية الجلال على هذا التاريخ ففي احشائه ربما يتجاوز الجمال والقبح .. التعالي والانحطاط .. بما هو اساسا تاريخ شخوص حقيقيين لا خرافيين .. يتحدر في اعماقهم صوت الرب حينا.. وصوت الشيطان حينا آخر .. وتشتجر في اغوارهم نوازع العظمة ونوازع الهبوط . والتاريخ الديني او قل العقائدي بهذه المثابة ، بما هو تاريخ زاخر بعناصر الجدل يشكل خلفية زاخرة الثراء . تعطي الكاتب المسرحي

امكانية التحرك على كل الجهات العقلانية والشعورية ، الزمانية والمكانية ، الانفراجية ، والانحنائية ، الى غير ما تخوم .

لقد كتب الدكتور الشرباصي مسرحياته : مولد الهدى .. ومسرحيات اسلامية .. والحاكم العادل .. وصراع .. وفارس الشهداء .. وسلطان الطعام .. وبطولة .. وعدو السلام .. وهي كما يلاحظ مسرحيات تتكىء على الحس الديني والحس التاريخي . وحاول من خلالها جميعا ان يتيح للمتلقي ان يقول كلمته في كل ما يرى وفي كل ما يسمع دون ان يلجأ الى هدير خطابي يفقد المتلقي احساسه بذاتية الحركة (مع) او (ضد) وهذه الحيادية اول ما يسجل للدكتور الشرباصي الكاتب المسرحي الفاهم الى حد بعيد .

ولقد نحس مع كل مسرحياته ان الرجل لا يلبس مسوح التقنيين .. ولا يحاول ان يقول للمتلقي ان هذا العمل المسرحي انما هو وليد معاناة بطول ما عشت من السنين كما يفعل الاغيار .. انه كاتب يشعر تماما بفاجعة ما يتصدى له الكاتب الحقيقي . انه يواجه اللزوجة الكونية في محاولة لتفتيتها او لتعريتها على الاقل ، ومن هنا كان احساسه الفاجع بفخامة ما يتصدى له الكاتب الحقيقي ، انه يتصدى للكون والتاريخ .. وما اجدر هذا المتصدي لهذه (الكونية) وهذه (التاريخية) بالتطامن المتواضع امام ما يواجه من عبء وما يعايش من عذابات . وهذا (الاحساس الرسالي) هو ما يسجل – ثانيا – للدكتور الشرباصي بلا محاولة للتزييف .

ولقد يقترب المتلقي من عمل مسرحي لكاتب هو بالدرجة الاولى – رجل دين – وفي ذهنه ان ثقافة الكاتب الدينية ربما تأسر الشكل والمضمون جميعا في خلقه الفني ، ولكنه ما يكاد يطالع العمل المسرحي حتى يستيقظ فيه احساس بالدهشة واحساس بالانفتاح .. الدهشة لهذا التحرك بالكلمة (الشاعرة) من خلال العمل المسرحي في رشاقة وابداع واصالة توحي بالاديب تماما كما توحي بالعالم .. والانفتاح مع كل نبضات الوعي المتفتح الصائر من جمود التاريخ الى جدلية المعاصرة بلا تزمت خانق لكل اطلالات الحياة . وهذه (الامكانية الفنية) هي ثالث ما يسجل للدكتور الشرباصي رجل الدين الذي يمتلك بالفعل اقتداره الابداعي والتقني في رشاقة وابداع واصالة توحي بالاديب تماما كما توحي بالعالم في هذا المجال كما اسلفت منذ لحظات .

ولقد نرفض ان نعيش العمل المسرحي (التاريخي او العقائدي بالذات) من خلال اعجاب مسبق لكل ما فيه ومن فيه .. ان للقبح كما للجمال مبررا لا بد من ان يتوافر (ضمنيا) في العمل المسرحي والا فان هاوية الرفض لن تغلق فمها منذ لحظات البدء حتى ستار الختام . ولقد فطن الدكتور الشرباصي في كل اعماله المسرحية الى هذه الحقيقة . لقد كان يعطي مبرره دائما ان لم يكن بتجميل الجميل – من خلال تقنية مسرحية فاهمة – فبتقبيح القبيح – من خلال هذه التقنية المسرحية الفاهمة – او قل حتى من خلال هذا الجدل الدرامي بين الجمال والقبح ، وبين اشتات هائلة اخرى من الاشباه والاضداد . وهذا (الرفض للاعجاب المسبق) واعطاء (المبرر) دائما هو رابع ما يسجل للدكتور الشرباصي الذي ادرك بحاسة الفنان ما ينبغي لحركة الفن ان تكون .

ولقد نتوقع في النهاية ان يتورط الكاتب المسرحي في صوغ التاريخ العقائدي او الموضوعي مسرحا او ما يسمى بالمسرح . حين يتصدى للكتابة في مجال العقائديات او في مجال التاريخ ، ونحوا من هذا فعل كاتبنا المسرحي الرائد توفيق الحكيم .. فلقد حاول ان يصوغ حقائق تاريخ النبي مسرحا في مسرحية « محمد » فجاء مسرحه مجموعة من المواقف الحوارية فاقدة للحس الدرامي من ناحية وللشكل المسرحي القابل للتحوير والتطوير من جهة اخرى .. وربما كان ذلك كله نتيجة لالتزام كاتبنا الكبير توفيق الحكيم بحرفية النص وزمانية الاطار . لست اريد من وراء ذلك ان اقيم مقارنة بين عمل الحكيم وعمل الدكتور الشرباصي فالمقارنة تحتاج الى استيعاب كامل وفهم اعمق وشروح وحاشيات .. كل الذي اريده هنا ان اؤكد ان الكاتب المسرحي حين يتصدى للعمل في مجال التاريخ الموضوعي او العقائدي ينبغي له الا يتورط في صوغ هذا التاريخ او قل في سرده مسرحا ، انه مطالب بالعمل (من خلال التاريخ) وليس بالعمل (بالتاريخ) . وهذا (العمل من خلال التاريخ) هو خامس ما يسجل للدكتور الشرباصي في مسرحه العقائدي العارف بمواطىء اقدامه على كل الطريق .

بعد هذا التأمل الواثب لملامح المسرح الديني عند الدكتور الشرباصي لا بد من الوقوف الدارس مع واحدة من مسرحياته حتى لا تستحيل الكلمات في هذه الدراسة الى مجرد شعارات او قل الى مجرد افضاءات عاطفية قد يلونها الحب للكاتب او الحماس له بلا حدود .

فلتكن مسرحية « صراع » وهي آخر مسرحيات الدكتور الشرباصي المطبوعة ظهورا (1) محورا لهذا التوقف الدارس .. وان كنت لا اعد بقدرتي على اجداب هذه الدراسة من عواطف الحب للرجل وعواطف الحماس له كانسان تربطني به وشائج اعتى من وشائج اللحم والدم .

ان مسرحية « صراع » للدكتور احمد الشرباصي مسرحية تاريخية اسلامية في اربعة فصول .. والارضية التي يدور عليها هذا (الصراع) هي فترة الجيشان الاولى في حياة الاسلام كدين شمولي ، لا بد ان يصطدم بانانيات كثيرة .. انانية الاقطاع .. وانانية الجاه .. وانانية الفكر .. وانانية العصبية .. وانانية الادعاء . ولقد تشير الى هذه الانانيات باصابع غليظة كلمات قالها طلحة لمسيلمة الكذاب : « اشهد انك كذاب .. وان محمدا صادق .. ولكن كذاب ربيعة احب الينا من صادق مضر » .

تدور احداث المسرحية اذن في مطالع الدعوة الاسلامية حيث حاول نفر غير قليل ان يزعم النبوة ويدعي الرسالة . ولقد افلح نفر غير قليل ايضا في استقطاب كتل جماهيرية غفيرة حوله ، في طليعة هؤلاء « مسيلمة الكذاب » الذي اراد في بادىء الامر ان يساوم على اقتسام النبوة مع محمد . كان النبوة بعض ميراث الاجداد للاحفاد .. فلما ووجه بالرفض والتحقير انفلت يعارض النبوة بنبوة ، والرسالة برسالة ، والوحي بوحي ، ولقد استمال اليه متنبئة اخرى هي « سجاح بنت الحارث » وتزوجها في نهاية الامر .. وكان يهدف من وراء ذلك الى تعزيز مواقعه وتدعيم جبهاته ، واستطاع بالفعل ان يهزم جيش المسلمين في موقعتين ، مما خيل اليه ان الامر قد استتب له ، ولكن جيش خالد بن الوليد الزاحف تحت راية الايمان العقائدي قهر كل مواقع التعزيز التي شادها هذا المتنبىء الكذاب وانهى بذلك القهر سلسلة من تزييف المبادىء والقيم وحضارات الانسان .

هذه هي المحاور التي يرتكز عليها عمل الدكتور الشرباصي المسرحي في « صراع » فكيف عالج الكاتب عمله على مستوى مسرحي ؟ وما هي الفكرة المحور التي حركت الكاتب من لحظة البدء حتى لحظة الختام ؟

الواقع ان الحس المسرحي في هذا العمل حقيقة لا تقبل الجدل فمنذ مطالع الفصل الاول يحيطنا الكاتب بجو ايحائي غريب ينقلنا على الفور الى ارض المعركة .. اننا حتى من خلال الحوار الموضوعي بين « جبير » « وابي دجانة » ثم « وحشي » نحس اننا على ابواب نفير يوشك ان يطلق صيحاته في الناس مؤهبا لقتال .. وهذا الايحاء في ذاته يشكل حجر الزاوية في اي نجاح مسرحي ويعطي الكاتب براءة الانتصار .

ومن خلال ايقاع مسرحي رائع بالفعل يعطينا المؤلف عبر نقلاته في ابهاء الفصل الاول كذلك ما يمكن ان نصطلح على تسميته (بنوعية الشخوص) ... ان الدكتور الشرباصي في تقديمه لشخوص مسرحه

١ – ظهرت عام ١٩٧١ عن دار الرائد العربي – بيروت – لبنان .

يحرص في ذكاء ووعي على ان يعطينا نماذج ونوعيات من الرجال الملتفين حول كل الدعاة ... فهذا « وحشي » قاتل حمزة .. والذي قال له النبي « ان استطعت الا تريني وجهك فافعل » لقد استحال بعد اسلامه الى قديس .. انه هائم على وجهه نادم على اثمه ظامىء الى لحظة واحدة من لحظات التطهير ويحاول « مسيلمة » في خلوة مع عذاب الضمير يحسها في « وحشي » .. ان يستميل اليه هذا الفارس المؤمن .. ولكن سيف الفارس المعذب يوشك ان يحسم الجوار بينه وبين مسيلمة لولا حرمة السيف الذي في يده والمكان الذي تجري عليه مشاهد الحوار . ان المؤلف هنا يعطينا الى جوار (نوعية الشخوص) (نوعية الايمان) ان اغراءات مسيلمة للفارس المعذب لم تفض به الى شيء ، سوى انه عاد من جديد يتوق للحظة من لحظات التطهير غير عابىء بعدها بشيء .

وفي الفصل الثاني يحاول الدكتور الشرباصي ان يسلط كل الضوء على تتابع (الانهيارات) .. متيقظا في كل نقلة من نقلاته الفاهمة على ان تبدأ هذه (الانهيارات) من الداخل .. ان مركز الدائرة هو الذي يهتز .. ان محيطها يهتز .. ان كل بعد من ابعادها غارق في فوضى الاهتزاز . هذا هو « الرجال » صاحب مسيلمة الاول وصديقه « الرسالي » الحميم .. انه ينصح لنبيه في خلوة من خلواتهما معا قائلا : « .... وما عليك الا ان تقدم اليهم بعض انواع الخداع والشعوذة التي تجيدها وتتقنها » ! هذه هي (نوعية) ايمان المؤمنين بمسيلمة .. وهي في نفس الوقت نوعية نوع من الشخوص .

ويتسع مدى دائرة (الانهيارات) من الداخل فنرى الى مسيلمة يدفع بمؤذنه في حركة معصوبة قائلا له : « ... لقد اقتربوا .. وعليك ان تذهب الآن وتندس في وسطهم .. وتقوم بواجبك الذي تعرفه جيدا .. افهمت ؟ افهمت ؟ » .. ان حس التضليل صارخ هنا الى حد الجلجلة ... وحتى حين يخرج مؤذن النبي الكاذب مسيلمة الى الجماهير تدرك هذا النبي فدامة الكذاب ويهمس الى نفسه قائلا : « هم يقتربون .. والله لا ادري ماذا اقول لهم » .

ووسط هذه (الانهيارات) الفاجعة لا ينسى المؤلف ان يسقط ضوءا لامعا على جثث الظلام فيأتي « بوحشي » في رحلة من رحلاته الى اليمامة ويبرز منه (نوعية) عقائدية تلطم بايمانها غباوة الكذب في المخاتلين بالدين ... ان الكاتب يجمع ـ في هذه الرحلة العابرة ـ بين وحشي ومسيلمة .. ويسأل المتنبىء فارسنا المعذب فيم جاء ؟ فيرد وحشي : « ... لم اكن ضيفا في ناديكم كما تقول .. وانما مررت باليمامة في رحلتي ، فشهدت الجموع متكاثرة ، فاقبلت أتعرف امرها، ورأيت كيف كانت ضحية التمويه والتضليل » .

وتتتابع (الانهيارات) بشعة متفسخة .. حين تأتي سجاح الى مسيلمة .. في محاولة لعقد شركة يقتسمان فيها ملك النبوة .. او نبوة الملك لا ادري ...

وهكذا .. لا يكاد الفصل الثاني من المسرحية ينتهي حتى نحس نحن بضراوة هذه (الانهيارات) ونجزم بأن هذه النبوءات الكاذبة لا بد ان تفقد كل عينيها وتنتحر في الظلام .. ولكن المؤلف لا يتركنا نستقر على مرفأ هذا الفهم بلا دوار .. والا لشارك في احباط عمله المسرحي. فما أبشع ان تعرف النهايات وانت سائر في دروب البدايات .. في المسرح على الاقل ... انه يغرينا فقط بهذا الفهم ، يؤهلنا له ، يشدنا نحوه وان كان يبعدنا عنه بنفس المسافات حتى لا نفقد عنصر الاستجابة الدرامية في كل المسار .

ويأتي الفصل الثالث تكثيفا حقيقيا لجوهر الصراع .. فالنبي الكاذب مسيلمة لا يريد ان يفلت النبية (الظبية) وحين يتفقان تهتف سجاح : اذن فانت تؤمن بي ؟ فيهتف مسيلمة : لانك تؤمنين بي ! ... مقايضة تصيب بالغثيان .

ويعطي النبي الكاذب مهرا للنبية (الظبية) ان يسقط عن قومها صلاتي الفجر والعشاء .. فاحداهما تأتي في الظلام وتحت سياط البرد .. والاخرى تأتي بعد عذابات نهار عنائي طويل .

ويفتن المؤذن ـ مؤذن مسيلمة ـ نبيته بجماله الخارق .. وتقع النبية الكاذبة في مناطق الاغواء .. انثى .. بلا قداسة على الاطلاق .

ومرة اخرى يظهر في حفادس هذه الظلمات وجه « وحشي » رمزا لاطلالة الحق على كل ضحايا الخرافات .. انه التماعة الصدق في عالم الكذب .. وصوت الايمان في خرائب الكفر .

ومن الجدير حقا هنا بالملاحظة ان الجانب الاسلامي او قل الجانب (العقائدي) في قضية هذا (الصراع) لا يكاد يظهر على المسرح .. ان التركيز هنا على الجانب الآخر .. وقد يعطي ذلك السلوك المسرحي ايحاء بأن القضية العقائدية ليست في حاجة الى قناعات اخرى .. انها تملك قناعاتها النهائية .. بينما تضطرب قضية الكذب والادعاء فيما يشبه الجنون اللاهث على المسرح .. ربما في محاولة يائسة للظفر حتى بمجرد الوقوف امام وجهها في المرآة .. ولكنها تصاب في كل خطوة من خطواتها بانهيار جديد .

ولا ادري هل كان من الاوفق لقضية الصراع ان يقوم جدل حقيقي بين العقائدية والانانية هكذا وجها لوجه .. ام ان المؤلف آثر ان يقوم الجدل بين الحضور والغياب .. وان ينتصر للغياب حتى في غيبته بما هو قائم اساسا على منطق الكون ومنطق الفكر ومنطق التاريخ. لا ادري!

وحين نشارف الفصل الرابع نحس بأن المؤلف بدأ يجمع خيوطه في يديه . فالانهيارات تدوي في ايقاع مخيف .. النبية تكذب النبي.. والنبي يكذب النبية .. ومؤذن النبي يكفر به .. ويعري معجزاته الصفراء .. ويفتح الكاتب للحقيقة كوى تتسرب منها الى الجماهير حتى لا تظل حبيسة في بهو النبي المدعي .. وبين اولئك الشخوص الذين يتحلقون حوله في غباء ... ان الحقيقة تسعى الى الجماهير من خلال مؤذنه الغاضب « حجير » حين يصرخ في مولاه « .. وسأمشي بين الناس اطلعهم على حقيقة امرك .. وادعوهم الى الكفران بك » ! تسعى الى الجماهير من خلال سجاح التي تهتف في زوجها النبي الكاذب مسيلمة « .. ولكنك سترى عما قريب كيف تكون فضيحتك بين الناس » وتخرج !

ويركز الدكتور الشرباصي على تكثيف الحس المأساوي في قضية هذا الصراع حين يقيم ما يشبه المعارضة بين شعارات الحرية التي يرفعها انصار مسيلمة وشعارات الحرب التي يرفعها العقائديون ... فحين يصرخ تابع مسيلمة في جيشه : « دافعوا عن احسابكم واوطانكم واعراضكم يا أهل اليمامة » هكذا في عصبية بلهاء ! يصرخ « البراء » في جيشه العقائدي « يا جنود الله .. احملوني على اعناقكم واقذفوا بي داخل الحديقة من فوق السور . فوالله لافتحن لكم بابها او اموت شهيدا في سبيل الله » ! ان نوعية الشعارات هي نوعية الشخوص .. هي نوعية الايمان .. هي نوعية ما يهدف الكاتب الى تعميقه وتأصيله على نحو أكيد .

ويسدل المؤلف الستار على مشهد (التطهير) التي لوحت به المسرحية منذ ايقاعها الاول .. فلقد قتل وحشي مسيلمة .. وغسل عن سيفه دم حمزة بدم هذا الكاذب المرور .. وها هو في ختام المشهد يتصعد الى سماواته بهذه الضراعات : « الحمد لله .. لقد قتلته ووفيت بوعدي (ومخاطبا الحربة بانشراح) ايه ايتها الحربة .. لقد قتلت بك خير الناس حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وعم رسول الله .. فكرهت ان اراك او ان احملك في يدي اما اليوم .. فانـي احملك فخورا مباهيا فقد قتلت بك شر الناس مسيلمة الكذاب .. واني اسأل ربي .. ان يجعل قتلي لمسيلمة محوا لاثمي في قتل حمزة .. فاللهم اغفر لي .. فانك انت الغفور الرحيم » .

هكذا عالج الدكتور الشرباصي عمله على مستوىمسرحي وهذه هي الفكرة المحور التي حركت الكاتب من لحظة البدء حتى لحظة الختام.. واذا كنت في مطالع هذه السطور قد حاولت ان ارصد للكاتب ملامحه المسرحية المميزة فان هذه الدراسة التطبيقية لواحدة من مسرحياته

النشيد الرابع

من « للحب .. للحرية »

لو كنت يا حبيبتي مزارعا في الصين
ساقاي في مياه حقل الرز
ووجهـي المغنـي
يطوف حول وجهك الوديع
كنحلة غريبة مسالمـه
وانت عنـد رأس الحقل
تصطنعين الجد والوقار
وقلبك الرقيق يا حبيبتي كالطير في الشراك ..

لكنت يا حبيبتي ، ونحن عائدان ،
بعد سقوط الشمس في حقولنا البعيده ،
حملت عنك سلتيك ، أنت عني معولي
أنظر بين خطوة وخطوة من الطريق
في وجهك المبتسم التعب
في أنفـك الصغير
في فمـك الصغير
وشعرك النازل من قبعة القش التي ـ
« تدقر » لي قبعتي ، في خطوة وخطوة من الطريق

لكنت يا حبيبتي طيرت لـك
على الهواء قبلة ، وكلمة حبيبة ، وانت قرب الكوخ !

وعندما اسقط في حبائل النعاس
أراك يا حبيبتي تهيئين الرز ، تنثرين فوقه السمك ..
أراك يا حبيبتي في وجهك المورد الجميل
تامرني ابتسامة ان اقترب ..

وعندما اخرج من حبائل النعاس
أود لو نكون عند بعض
أود لو نكون عند بعض ..!

●

صباح الديـن كريدي

●

حـلـب

الدينية توشك ان تؤكد ما قلته فيما اعتقد (فالحياديـــة المسرحية) (والاحساس الرسالي) (والامكانية الفنية) .. (والرفض لكل تاليه مسبق) (والعمل من خلال التاريخ) كل اولئك بارز بـــلا اقنعة في مسرحية الدكتور الشرباصي الاخيرة « صراع » .. وهـذا هـو المدخل الحقيقي لقضية الاعتراف بأن هذا الكاتب بالفعل قد اعطى في المسرح الديني والمسرح الديني . وليت طاقاتنا المبدعـة في مجـال المسرح تعطف صوب هذا المنطلق ، وتعطي للمسرح الديني امكانية ان يولـد من جديد .. نابضا بالحركة .. مكتنزا بصوابية الرؤية .. مستقطبا لآماد التاريخ كله بأضلاعه المثلثـة .. الماضي والحاضر والمستقبل .. فهذا وحده هو غد المسرح المرتقب او فلنقل ان هذا مع غيره هو غـد المسرح المرتقب بلا تحفظات وبلا حدود .

القاهرة — محمد أحمد العزب


محمد العدناني

اغـــلاط شائعـــة

بقلم محمد العدناني

***

انصبـــغ

ويقولون : انصبغ بالصبغة الحزبية . والصواب : اصطبغ ، لان مطاوع (صبغ) يأتي من باب (افتعل) ، وليس من باب (انفعل) .

وأنا اقترح على مجامعنا اللغوية ، التي نسير على هديها ، ان تجيز اشتقاق الفعلين المطاوعين (انفعل وافتعل) من جميع الافعال الثلاثية السالمة ، اذا كان ذلك الاشتقاق لا يخل بالموسيقا اللفظية .

صحفي

ويخطئون من يقول : صحفي (بضم فضم) ، ويقولون : ان الصواب هو: صحفي (بفتح ففتح) ، لان البصريين يرون ان ننسب الى الجمع ، بعد ان نحوله الى المفرد .

ولكن الكوفيين يجيزون النسب الى جمع التكسير في جميع الاحوال، سواء أكان اللبس مأمونا عند النسب الى مفرده أم غير مأمون . لـذا يصح ان نقول صحفي (بضم فضم) علـى رأي الكوفيين ، وصحفي (بفتح ففتح) على رأي البصريين والكوفيين معـا . (راجع « مباحث اخلاقية » في حرف الخاء) .

سمـاء مصحيـة

ويخطئون من يقول : ان السماء مصحية . ويقولون : ان الصواب هو : ان السماء صحو . والكسائي على رأس هؤلاء .

وكلتا الكلمتين : صحو ومصحية صواب للاسباب الآتية :

١ ـ قال عبد الله بن بـري المقدسي الاصل ، واللغـوي الشهير المتوفي في مصر عام ١١٨٦ م : يقال : أصحت السماء فهـي مصحية ، ويقال : يوم مصح .

٢ ـ جاء في تاج العروس : سماء مصحية .

٣ ـ وجاء في لسان العرب : اصحت السماء ، فهي مصحية .

٤ ـ وجاء في الاساس : اصحت السماء ، والسمـاء مصحيـة .
وحاكاه في ذلك الصحاح ومتن اللغة والمصباح .

٥ ـ في اللغة العربية : أصحى ، واسم الفاعل منه مصح ومصحية.

الصدريـة

ويسمون الثوب الذي يلبس ، فيغشي الصدر : صدرية (بضم الصـاد او كسرها وتسكين الدال) . والصواب : صدرة (بضم فسكون) .

جاء في اللسان : الصدرة من الانسان : ما اشرف من أعلى صدره ، ومنه الصدرة التي تلبس .

وقال ابن الاعرابي : العرب تقـول للقميص الصغـير والدرع القصيرة (الصدرة) .

وجاء في الاساس : صدرة القـوم : مقدموهم (بفتـح الـدال وتضعيفها) ، وهي من المجاز .

أما الصدار (بكسر الصاد) فثوب تغطي به المرأة رأسها وصدرها.

وقال الجوهري : الصدار قميص صغير يلي الجسد .

صـدع لامـره

ويقولون : صدع لامر رئيسه . والصواب : خضع لامـر رئيسه ، لان معنى « صدع بالامر » : أصاب به موضعه وجاهر به دون خوف مـن أحد ، (وهو من المجاز) . راجع الآية ٩٤ من سورة الحجر .

قابلـه صدفـة

ويقولون : قابله صدفة . والصواب : صادفه ، أي : وجده او لقيـه او قابله .

أما الفعل صدفه فمعناه : صرفه .

والفعل أصدفه معناه : صرفه أيضا .

وصدف عنه : أعرض ، وصدفه عـن كذا وكذا معنـاه : أماله ، وقيل : عدل به . راجع الآية ١٥٧ من سورة الانعام .

أما الصدفة فخطأ ، والصواب المصادفة ، وهـي لا تحمل معنى المفاجأة .

صادق على تعيينه

ويقولون : صادق الوزير على تعيين فلان ، وصدق رئيس الجمهورية على الحكم . والصواب : أجاز الشيء ، او أمضاه ، او اقره ، او وافـق عليه ، لان معنى صادقه : (١) كان صديقا له . (٢) لم يكاذبه .

وصدقه : ضد كذبه .

صـدام

ويقولون : قتل فلان في حادث صدام . والصواب : في حادث اصطدام، او تصادم ، او صدم ، لان الصدام (بكسر الصاد وضمها) هو : داء في رؤوس الدواب . ويقول بعضهم : الصدام (بضم الصاد) هو : ثقـل يأخذ الانسان في رأسه .

صرف

ويقولون : صرف على بناء قصره مائة الف لـيرة . والصواب : صرف (بتضعيف الراء) او انفق ... ويقولون : صرف في بيروت شهريـن . والصواب : قضى .

اما الفعل (صرف) فمتعد ولازم . ومن معاني المتعدي :

١ ـ صرفه على وجهه : رده .

٢ ـ صرف الاجير : خلى سبيله (مجاز) .

٣ ـ صرف الله قلوبهم (الآية ١٢٨ من سورة التوبة) : اضلهم ، وصرف قلوبهم عن الايمان .

٤ ـ صرف نابه وبنابه : حكه فاحدث صوتا .

٥ ـ صرف الحديث : زاد فيه وحسنه .

٦ ـ صرف الذهب بالفضة : باعه .

٧ ـ صرف الناقة : حلبها غدوة ، وتركها الى مثلها من أمس .

٨ ـ صرف المعلم الطلاب : ارسلهم الى منازلهم .

٩ ـ صرف الكلمة : جرها بالكسرة او نونها .

١٠ ـ صرف فلانا بفلان : ولاه مكانه (مجاز) .

ومن معاني اللازم :

١ ـ صرف صريفا الباب والناب والفحل والبكرة : صوت .

حاكم صارم

ويخطئون من يقول : هذا حاكم صارم ، أي : عنيف في العقاب والتأديب . ولا أرى ما يمنع استعمال (صارم) مجازا ، فنقول : هذا حاكم صارم ، أي : له احكام تقطع الذين يحكم عليهم بالعقاب كما يقطعهم السيف (استعارة مكنية تبعية) .

ومن معاني (صارم) : ١ ـ السيف القاطع ، ٢ ـ الشجاع ، ٣ ـ الاسد .

وجاء في الاساس : من المجاز : رجل صارم . أي : ماض في الامور.

وجاء في التاج : رجل صرامة : مستبد برأيه ، منقطع عن المشاورة . وقيل : ماض في أموره .

وجاء في الآية (٢٢) من سورة (القلم) : ان كنتم صارمين . أي : ان كنتم قاطعين ثمر نخلكم .

الصارية

ويقولون : رفع الراية على صارية دار الحكومة . والصواب : رفعوا الراية على صاري دار الحكومة . اما جمع الصاري فهو : الصواري .

ومن معاني (صاري) :

١ ـ صاري السفينة : الخشبة المعترضة في وسطها ، ويكون عليها الشراع .

٢ ـ الجمل الرافع عنقه .

٣ ـ القاطع ، ٤ ـ العاطف ، ٥ ـ المتقدم ، ٦ ـ المتاخر ، ٧ ـ العالي ، ٨ ـ السافل ، ٩ ـ المغيث والحافظ ، ١٠ ـ الملاح (مجاز) .

اما الصارية فهي : البئر البعيد عهدها بالماء حتى تغيرت رائحته وطعمه ولونه .

أصفى لـه

ويقولون : أصفى له . والصواب : أصفى اليه . أي : مال بسمعه نحوه.

وصفا اليه سمعي يصغو صغوا (بضم فضم فتضعيف) . وصغي (بفتح فكسر) يصغى (بالالف المقصورة) صغا (بفتح الصاد) : مال .

ويضيف ابن سيده المصدر : صغيا (بضم فكسر فتضعيف) .

واصغى الاناء : اماله وحرفه على جنبه ليجتمع ما فيه .

في صدره صفا

ويقولون : في صدره صفا لا قلب . والصواب : صفاة ، أي : صخرة ملساء . اما الصفا فهي جمع صفاة . وتجمع صفاة على صفوات ايضا.

أما جمع الجمع فهو : أصفاء (بفتح فسكون) وصفي ، وصفي (بضم الصاد وكسرها فيهما) وكسر الفاء وتضعيف الياء) .

جاء في الحديث : لا تقرع لهم صفاة . أي : لا ينالهم احد بسوء .

بصفته رئيسا للجمهورية

ويقولون : وقع المعاهدة بصفته رئيسا للجمهورية ، او بصفة كونه رئيسا للجمهورية . والصواب : وقع المعاهدة كرئيس للجمهورية . والكاف هنا للتمثيل بما لا مثيل له ، وتسمى كاف الاستقصاء .

صك الاتفاقية

ويخطئون من يقول : وقع الفريقان صك الاتفاقية . وهذا القول صواب، اذ ورد في محضر الجلسة الثانية والثلاثين من محاضر جلسات دور الانعقاد الاول للمجمع القاهري ، ص ٤٢٦ ، على لسان أحد الاعضاء قوله:

(حاجتنا الى المصدر الصناعي ماسة في علم الكيمياء وغيره من العلوم . وقد قال العلماء انه من المولد المقيس على كلام العرب . وتخريجه سهل ، لان هذا المصدر مكون من اللفظ المزيد عليه ياء النسب ، وتاء النقل ، على رأي أبي البقاء في : « الكليات » .)

ثم جاء في المحضر بعد ذلك ما نصه : (ان عضوا آخر قرأ نصوصا من شرح القاموس في مادة : « كيف » ، ونصوصا أخرى من « كليات أبي البقاء » ، وان مناقشة الاعضاء في هذه النصوص انتهت الى القرار الآتي ، وهو : « اذا اريد صنع مصدر من كلمة ، تزاد عليها ياء النسب والتاء ») .

ويرى الاستاذ عباس حسن ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومؤلف الموسوعة الفذة « النحو الوافي » في المجلد الثالث صفحة ١٨٣ ، ان المصدر الصناعي اسم جامد مؤول بالمشتق ، يصح ان يتعلق به شبه الجملة ، ويصح ان يكون نعتا ، وحالا ... و ...

وقد احتال النحاة على تحصيل معنى المصدر ، اما بالمصدر الصناعي ، مثل : ارجحية ، واسبقية ، واما بتقدير الكون مضافا الى الاسم . ففي تاويل : علمت ان هذا ذهب . يقولون : علمت كون هذا ذهبا ، أو : علمت ذهبية هذا .

ليس هذا في صالحه

ويقولون : ليس هذا في صالحه . والصالح العام مفضل على الصالح الخاص . والصواب : ليس هذا في مصلحته . او ليس في هذا صلاحه . والمصلحة العامة مفضلة على المصلحة الخاصة .

واستعمال كلمة (الصالح) هنا هو في غير معناه الحقيقي ، لان (الصالح) هو ضد الفاسد . والمصلحة هي : واحدة المصالح ، وهي : ما فيه الخير والمنفعة والصلاح . وعكسها : المفسدة (بفتح فسكون ففتح) .

صلح الكتاب

ويقولون : صلح الكتاب . والصواب : صحح الكتاب . وقد جاء في التاج واللسان : صححت الكتاب او الحساب تصحيحا : اذا كان سقيما فاصلحت خطاه . وليس في اللغة العربية صلح (بفتح فلام مضعفة مفتوحة) ، وقد أخطأ احد الشعراء المعاصرين حين قال :

لكن أصلح غلطة نحوية ... مثلا ، واتخذ الكتاب دليلا

مصطنع ، اصطناعي

ويقولون : هذا شيء مصطنع او اصطناعي . والصواب : مصنوع او صناعي ، لان الفعل (اصطنع) معناه :

١ ـ اصطنع الرزق : قدمه .

٢ ـ اصطنعه : اختاره . ومنه قوله تعالى في الآية ٤١ من سورة (طه) : واصطنعتك لنفسي .

٣ ـ اصطنع عنده صنيعة : اتخذها .

٤ ـ اصطنع فلان خاتما : سال رجلا ان يصنعه له .

٥ ـ اصطنع فلانا : ادبه وخرجه ورباه .

٦ ـ اصطنع الرجل : قام بدعوة اخوانه .

صيدا ـ لبنان — **محمد العدناني**

قصيدتان

يا بني

« في خيمة من خيام اللاجئين ، شيخ عربي يودع ابنه الذاهب الى المعركة » .

●

يا بني
سلبتني الضوء في عيني احزان الهزيمه
والضواري أنشبت في مقلتي
كل أظفار الجريمة
فأنا اليوم بعينيك أرى
وأغني بفمك
ودمي بعض دمك
سال يمحو من عروقي
ليل مأساتي القديمه

يا بني انهد جنحي ...
هات جنحك .
كل أحزاني ـ وان طالت ـ على جفنيك تضحك
ان يسل جرحك ضمد
بشفاف القلب جرحك ... يا بني .
او عطشت اشرب دمي
واذا جعت فخذ زاد فمي
أنت لونت شروقي
أنت نبض في عروقي
وارتعاش الزهر في شوك طريقي .

يا بني انتحر الليل على سيف النهار
ودم رش باهداب السماء
فاسبق الريح وكن سكين نار
في قلوب سلبت منك الضياء

راية النصر احتضنها باليسار
وخذ المدفع بالكف اليمين
فاذا عشت فمجد وانتصار
واذا مت فمت عالي الجبين

لا تقل اين ستمضي قدماك
فعبير الارض يهديك اليها
هي في شوق الى وقع خطاك
فاسبق الريح وكن قلبي عليها

لم تعد رقما ذليلا في الخيام
يحمل العار وآثام السنين
يندب الحظ ويستجدي اللئام
كسرة تملأ عين الجائعين
أنت أقوى من أعاصير الظلام
أنت أبقى من رياح الغاصبين

رقصوا فوق ارتعاشات السلام
فنما الشوك بجفن الآثمين
رقصة الدم التي هاموا بها
أغرقت بالدم كل الراقصين

النغم

« يسمع على الطريق وقع خطى قوية تبتعد ويرتفع نغم صاخب كالرعد »

●

يولد الرمح من الجرح ومن
دمعة الاطفال نار البندقيه
كل عرق في عروقي جذوة
كل نبض في شراييني شظيه
وجراحي أنشبت من عريها
مخلبا يجرح وجه البشريه
حرقة النابالم لم تحرق سوى
شرعة السلم بأحلامي الغبيه
أنا باق مثلما تعهدني
أمة كانت ... وتبقى عربيه .

هذه أرضي وقد فجرها
قدم الباغي شرايين لهب
مهجتي القربان في معبدها
ودمي زيت وأشلائي حطب
فاذا مت على مذبحها
فانا للارض نبض وعصب .

محمد علي شمس الدين



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

***

هل تنبه اتباعه ؟

يومان من عمر الدهر ..
اذكرهما كلما اطل على الناس عام من هذه الاعوام المتلاحقة ، وهذان اليومان هما : يوم المولد النبوي الكريم ، ويوم الهجرة النبوية من مكة الى يثرب .

اما اليوم الاول منهما ، فاذكره مع الاجلال والاكبار لانه برز فيه الى الوجود الانسان الكامل ، الذي جاء رحمة للناس ، ليخرجهم من الضلال الى الهدى ، ومن الظلمة الى النور . ومن ضياع الكفر والوثنية الى وضوح الايمان والتوحيد ، فكانت بداية هذا اليوم بداية ذلك الوجود ، الذي اخذ يكبر مع الدهر ، حتى طوى اياما واياما ، تراكمت في صفحة الزمان اربعين عاما . ثم اطل من بعدها بالنبوة فاذا هو ضياء يبهر العيون ، ويسير على هداه ابناء امتنا ، ليصنعوا روائع الامجاد ، ويشيدوا للانسانية حضارة شامخة الذرى .

ذلك هو اليوم الاول ..

وهو اليوم الذي نحتفل بذكراه ومعنا المسلمون في انحاء الارض قاطبة ، ومن حقنا ومن حقهم ان نفعل ذلك ويفعلوه ، حتى ولو تشعبت الاقوال في دقة تحديده خلال ايام ذلك العام ، الذي كان فيه ، فحسبنا وحسبهم انه حقيقة لا مراء فيها ، سواء تقدم عن ذلك اليوم الذي حدده الرواة ام تأخر عنه .

واما اليوم الثاني فاني اقرأ فيه صفحة رائعة من صحائف الايمان ، واقف امامها وقفة الذهول والدهشة والاعجاب ، ومالي لا اكون كذلك ، وانا اشاهد الرجل الوحيد الذي لا ناصر له يشد ازره ويحمي ظهره ، وليس من حوله غير طائفة من الناس، يتفاوت افرادها ويختلفون في القبيلة واللون والجنس والبلد ، فيحتاج بذلك كل واحد منهم الى ناصر ومعين ..

ورغم هذا كله ..

يخرج مهاجرا بايمانه الكبير ، الذي لم تخالطه شائبة من ريبة .. او من شك .. او من تردد ، وهو موقن اشد اليقين ، بانه منتصر لا محالة ، وبانه بالغ الهدف الذي يهدف اليه ، وواصل الى الغاية التي خرج من اجلها ، وان ما يدعو اليه من حق وان كان صاحبه ضعيفا اعزل ، سوف يظهر على كل ما يعترضه من باطل وان كان هذا الباطل مدعوما بالقوة والسلاح .

ذلك هو شعوري وانا استقبل هذين اليومين من كل عام ، وما دمت حيال واحد منهما وهو يوم المولد النبوي الكريم ، فانا اقف هذه الوقفة من الاجلال والاكبار ، وقد امتلات نفسي اعجابا بالانسان الكامل ، الذي آمن بصدق دعوته قبل ان يؤمن بها الناس ، وآمن معها بانه على حق ومن خالفه على باطل ، وبان الحق ظاهر على الباطل ومنتصر عليه ، مهما كانت المعركة بينهما ضارية ومهما طال مداها .

ثم انتشر دينه في الآفاق .. وكانت تلك عاقبة انتصاره على الباطل ، في معركة لا تكافؤ فيها ، ولكنه كان في النفر القليل ، وهو يقف في وجه العدة والعدد ، يحمل سلاحا لا يعرفه ائمة الكفر من اخصامه ، وكان هذا السلاح هو الايمان ، وبفضل هذا السلاح كان ما احرزه من الغلبة ، وما توصل اليه من ثمرات النصر المتلاحق .

ورايتني اتساءل :

ترى هل تنبه المسلمون من اتباعه اليوم الى مثل هذا السلاح ، وهم كثرة هائلة في جنبات الارض ، ما داموا يخوضون مع الباطل معركة لا هوادة فيها ، تستهدف المسجد الاقصى وما حوله من اجزاء غالية مباركة . وفيها جميعا مهاد عريض واسع لاحداث تاريخهم المشرق ، وفيها كذلك معالم تفتدى بالمهج والارواح لبعض معتقدات دينهم الحنيف ؟

ليت المسلمين يفعلون هذا ..

ليتهم يتزودون بهذا السلاح الفعال ، الذي جربه اسلافهم فصنعوا به العجب العجاب . وكان معهم الرفيق الذي لا يخذل صاحبه في كل طريق سلكوه الى النصر .

ليتهم يتنبهون الى ذلك ..

وهم يحتفلون بذكرى مولد الرسول الكريم ، الذي عرف السبيل اليه ، وكان بيده الوسيلة التي لا يغفل شأنها ، وهو يضع الاساس الثابت لبناء تاريخنا الكبير ؟

بدعة تدعو الى التساؤل !

كان يحمل المجلة بيده ..

وقد فتحها على صفحة بعينها ، وثناها بين اصابعه وهو يقبل علي ، ثم قال لي :

ـ هل انت مشغول ؟

فقلت وانا اعجب لسؤاله ذاك :

ـ وفي م تسأل وليست هذه عادتك ؟ ومتى كان يهمك ان اكون مشغولا او لا اكون ما دمت تريد ان تقول كلمتك ، ثم تزعم في النهاية ، انها ثقلت عليك في صدرك فاردت ان يحملها غيرك ..

فقال والابتسامة على شفتيه :

ـ وكنت تحملها ناشدتك الله ؟.

فقلت وانا لا اطيق هذا الاحراج :

ـ كنت احملها طبعا اذا كانت جديرة بان تحمل . ولا اكتمك انني كثيرا ما كنت ادعها تمضي بددا الى حيث تشاء ، دون ان اجهد نفسي بتلقيها منك ، حين اراها تستحق مثل هذا التراخي والتفريط .

فتصنع العبوس وهو يقول :

ـ اذن .. كان علي ان اتروى طويلا قبل ان امنحك ثقتي ، واجعلك مستودع اسراري ، وخبيئة افكاري ، وموضع الطمأنينة والرضى لدي ...

فقلت وانا اضيق بدعابته :

ـ كان عليك ان تفعل هذا ، فتريحني من عتابك ، وتريح نفسك من سيئات الظنون ، وعليك ان تخبرني الآن . هل عدلت عن الافضاء الي بما يثقل صدرك ام انك سوف تعيد النظر في ذلك ؟

وحين سمع كلامي ، تلاشى ما تصنعه من عبوس وقال :

ـ ليس هذا وقت اعادة النظر ، ان الامر الذي تذكره يحتاج الى تخطيط ، وسوف اخطط له في المستقبل ، حتى لا يكون ما افعله مرتجلا وابن ساعته . والآن ما عليك الا ان تعيرني سمعك وتصغي لما افضي به اليك .

فقلت وقد اسقط في يدي :

ـ امري الى الله .. هات وحدثني ، ما دمت لاتبالي بالعواقب ، ولا تحفل بالنهايات !!

ورايت صاحبي عندها يبسط مجلته بين يديه ويصب ناظريه فوق صفحة منها ، رسمت في اعلاها لوحة اختلط فيها سواد ببياض ، وتشابكت فيها خطوط لا يبين منها ما يدلك على معنى وجعل يقرأ :

« فجأة تحت سقف الظهيرة ..

كامرأة خائفة ..

تطفيء الشمس قنديلها ..

ثم ترحل في العاصفة .. » !!

فقلت اقاطعه :

ـ ويحك .. ما هذا الذي تقراه ..؟

فاعترض يسكتني بيده وبملامح وجهه وقال :

ـ ارجوك .. ارجوك .. استمع الي لم انته بعد .!

ونزلت عند رغبته ، فامسكت عن الكلام ، ومضى هو يقرأ من الصفحة التي بسطها بين يديه ، فيصاحب ما يقوله بالاشارة وهو ينشد :

« راحل في عذابي انا ..

حيث تزدهر الشمس ..

في رحم العاصفة ..

نتقابل ثانية ..

في متاهات عصر الرماد .. » .

وعند هذا المدى اوقفت صاحبي ، وانا اردد من كلماته التي انشدها قوله : « في رحم العاصفة .. في متاهات عصر الرماد ؟.. » . أي كلام هذا بالله عليك ؟

فقال وهو يفغر فمه دهشة :

ـ ماذا ؟ الا تفهمه ؟ انه شعر ...

فقلت وانا اهون عليه الامر حتى اخفف من دهشته :

ـ نعم .. نعم .. انه شعر ، ولكن .. الا ترى معي انه غريب نوعا ما ، وليس مما تعودناه والفناه ؟

وكأنما اثاره ما قلته فرد علي حنقا :

ـ غريب نوعا ما ؟ وان سر جماله وروعته يكمن في هذه الغرابة التي تزعمها .. ثم في م يكون اصرارك على ما تعودناه والفناه ؟.. دعنا نجدد ونبتكر يا اخي .. دعنا نغير الثوب المهتريء البالي بثوب جديد ، يختلف عن عباءة امريء القيس الباهتة ، وجلباب البحتري الذي اكل الدهر عليه وشرب ..

فقلت وانا اهديء من غضبه :

ـ قبلت بذلك ، ولكن شريطة ان تأتيني بثوب جديد حقا ، يصلح لان يكون لباسا يستر البدن ، على ان لا يكون من مثل ثوب الاسطورة المسحور ، الذي زعموا انه كان لا يراه الا من هو جدير بعمله الذي يتولاه . وحين لبسه الامير صاحبه ادعى كل من حوله انه يراه ، وانه غاية في الروعة وجمال الالوان ، ليظهر انه جدير بما يتولاه من عمل ، وعندما مر الموكب في احد الاحياء ، هتف الصبية من على اسطح المنازل بما يشعر انهم لا يرونه ، وعندها ادرك كل من في الموكب انه وقع في الاحبولة ، وان من حوله جميعا كانوا يمثلون الدور الذي مثله حين تظاهر بانه راى الثوب ، واحس به . ثم كانت خلاصة حديثي لصاحبي قبل ان امضي منصرفا عنه ان قلت له :

ـ دعني اوفر عليك مؤونة الاعتراض ، قد تقول :

امـــاه

●

اماه ، لا ادري وقـــد مرت بنا خمسون عامـا
وانا علـــى دنيا تضيق بمـــن يريد بها مقامـا
ومقامك الفردوس خلـد لا يـزول ولا يسامـى
امـاه ، لا أعلـم هل اهدي الى الخلد السلاما
من عالم هــو بالاذى المشبوب يضطرم اضطراما
فقـد الوفـاق فلـم يجد الا شقاقـا وانقساما

امـاه ، لـو ابصرت كيف نهيم في الدنيا هيامـا
لا عقـل يهدينـا ولا قلب يهيب بنا ــ الاما
والحـق اضيـع مـن يتامى يستميحون اللئاما
والظلم بـين الاقربين يعيث في الـوادي ظلامـا
يعدو الدخيل على الاصيل بـه ويسقيه الحماما
والفدم يمرح في الدجى بـين البواطي والندامى
دنيـاه لهـو بـين باقـات البنفسج والخزامـى
والحر يفترش الثـرى ليـلا ويلتحف الغمامـا
ويضيع بـين العابثـين اذا تجلـد واستقامـا
غرض المكيـدة حين يرمي النذل بالكيد السهاما
واذا دعـا يومـا الى الجلى فقـد نـادى نيامـا

امـاه ، هـل فجر يبدد عـن مسالكنا الظلاما
هل رحمة تحيي المحبـة والعدالـة والسلامـا
أو لا ، فهل من من نقمة تجتاح من نقض الذماما
وتذيقه الحتف الوبيل وتنشـر الباغي حطامـا ؟

عـدن
محمد عبده غانم

انني اتهمك بانك لا تعدو ان تمثل تمثيلا حين تظهر فهـم هذا الشعر وتطرب له ، وان الذي يتهمك في هذا الموضع لست انا ، وانما هو الشاعر الكبير عمر ابو ريشة ، الذي قال على ملأ من الناس في مقابلة اجرتها معـــه محطـة التلفاز عندنا في الاردن ، بانه يعرف كثيرا مـن اللغات ، ويقرأ آدابها ، ولم يجد فيها شبيها لمثل هـذا الشعر ، الذي اخذنا نطالعه في الادب العربي منـــذ حين ، وقـد اعتبره بدعة تثور حولها الظنون ، كمـــا تثـــور حولها الشبهات فيما يرى ..

ذلك ما يقوله الاستاذ ابو ريشة .. ولست احملك على قبوله ، فأنت حر فيما تراه ، وتطمئن اليه ، ولكني اردت ان اعترض به على ما اسمعتني وليس غير .

ولا عليك يا اخي ..

فالناس يختلفـــون في مشاربهـم ، ويتمايزون في اهدافهم ، وكلانا ــ انا وانت ــ منهم . وليس في ذلـــك عجب ، ما دام لكل امرىء هواه ..

عمان ــ الاردن
محمد سليم رشدان

– لقد شارفت الساعة الثانية صباحا يا دكتور .. دكتور عماد ..

ورفع الدكتور « عماد » راسه بتؤدة من بين انابيب الاختبار والاجهزة العلمية في معمله .. وكأنه يعود من عالم آخر الى دنيا الواقع .. وهز رأسه كمن يفيق من رحلة طويلة شاقة واستدار قائلا :

– نعم .. ماذا كنت تقولين يا دكتورة وفاء ..

وضحكت الدكتورة وفاء :

– انك دائما تستغرق في ابحاثك بحيث لا تحس بأي وجود بجانب عملك ..

– فعلا .. خاصة في هذا البحث الذي اقوم به ..

– يخيل الي ان لهذا البحث اهمية خاصة لديك .. انك تجهد نفسك بصورة غير طبيعية ..

– انني اتحدى الزمن .. اسابقه .. لقد قاربت المسألة النهاية .. نهاية هذا المرض اللعين ..

– كان بينك يا دكتور وبينه ثارا سابقا ..

ولزم الصمت قليلا .. واطرق لحظة ثم مضى يقول وكأنما يخاطب نفسه :

– هو ما تقولين يا دكتورة وفاء .. وله قصة معي ..

★

كان السكون مخيما .. وقد بدت القاهرة هادئة ساكنة على غير عادتها .. عندما ركبت الدكتورة وفاء بجانب الدكتور عماد في سيارته ليوصلها الى حيث تقيم ..

وفي الطريق ..

همست وفاء الى الدكتور عماد في دلال التلميذة امام استاذها ..

– ما قصة هذا المرض معك يا دكتور ؟

ولم يحر جوابا .. وساد الصمت وقتا ..

ثم تنهد تنهيدة عميقة كمن يستعيد اياما قاسية مضت .. لقد كان في حاجة الى من يتحدث اليه بعد هذا المجهود في معمل الابحاث .. وسبح تفكيره .. وحملته ذاكرته الى الوراء .. وبدات المشاهد المختلفة تتراءى امام ناظره ..

كنت في بعثتي الدراسية .. عندما انقطعت فجأة عني رسائل جارتي الحسناء وحبيبتي «سلوى» التي احببتها حبا ملك علي جميع مشاعري ، والتي رسمت معها مستقبلي بأحلام وردية زاهية .. وافاضت على حياتي نورا جديدا ..

وقد كنت اعتبر تلك الرسائل في غربتي الطريق الوحيد الذي يعبر عليه كل منا الى قلب صاحبه ..

وارسلت اليها .. رسالة تلو الاخرى .. وتكررت رسائلي .. دون جدوى ..

سؤال بلا جواب

بقلم رستم كيلاني

وظل فكري الشارد ينوء بمئات الاسئلة ، ولكن ظلت تلك الاسئلة بلا جواب ..

واصبحت ايامي اشد مرارة .. واكثر ايلاما .. وكانت كلماتها المتهدجة التي قالتها لي قبل رحيلي الى اوروبا يرن صداها في اذني بينما كانت تعتمد بمرفقيها على حاجز كورنيش النيل ، النيل الذي كان ينساب امامنا في فرح .. ومرح .. وكانت مياهه تتراقص لفرحنا كأنها تشاركنا بما نحمل في قلبينا من حب دفين عفيف لا تشوبه

قصة

اية شائبة .. وكانت دموع « سلوى » تنساب على وجنتيها رغم محاولتها اخفاءها ، وقالت متهدجة الصوت :

– قلبي يحدثني انه سيحدث لي شيء قبل ان اراك ثانيا ..

ولما انتهى العام الاخير من بعثتي الدراسية ..

عدت الى القاهرة ..

عدت الى قلبي الذي تركته .. متشوقا لرؤياها مطمئنا لحبها لي .. ولكنني صدمت بنبأ خطبتها ..

تلقيت هذا النبأ كصاعقة هزت كياني .. احسست بالارض تدور بي .. وجن جنوني .. واعتراني وجوم كاسف .. واكتئاب مرير ..

وعرفت وقتئذ سبب انقطاع رسائلها عني فجأة ..

وشعرت بعد ذلك ان سحابة سوداء تهبط فوق عيني شيئا فشيئا حتى احتجب عن ناظري كل شيء ..

وقررت ان انساها .. ان ابعدها عن مخيلتي ..

ولكن لم استطع ذلك .. ولم يكن في مقدرتي ان اقتطع من حياتي اسعد الايام واحلاها والقي بها بعيدا في ظل النسيان ..

انه لم يعد لي في الدنيا سوى ذكرى هذا الحب .. فلقد كان حبي لها لا يقدر ..

ولكن كلما خلوت بنفسي واطلقت العنان لخيالي .. تذكرت ايامنا الخوالي .. اشعر بحنين جارف .. وبعذاب كبير .. واظل اسائل نفسي في كل حين كالمعتوه .

اين ايام الحب ؟ هل تبخرت كحبات الندى في صباح صيف قاس ؟

اهكذا بهذه السرعة تنسى الحبيبة حبيبها ؟ وكأن شيئا لم يكن ؟

اين الوفاء ؟ وهل هناك حب دون وفاء ؟

اين الاخلاص ؟

اين ؟ اين ؟ اين ؟

وفي ليلة زفافها ..

وبينما كنت على أهبة ان ابرح الدار .. لقضاء هذه الليلة عند صديق لي هربا من تلك الزغاريد التي كانت تترامى اصداؤها الى اذني .. ومن الموسيقى التي تصدح في بيت « سلوى » كأنها مطارق هائلة من الحديد تعمل في راسي .. وتمزق قلبي حسرة ..

فوجئت بصرخات تتعالى في بيت « سلوى » صرخات عنيفة بدلا من تلك الزغاريد .. التي كانت تتكاثر وتتزايد ..

وسرت في اوصالي رعشة .. وقد اخذني الدهش .. واعتراني وجوم غريب.. واحسست بالضيق يغزو صدري ..

واختطفت دون وعي درجات السلم وقلبي يدق دقا عنيفا ..

وصعدت الى بيت « سلوى » وافسح لي المدعوون طريقا الى من تعالت الصرخات والبكاء .. والعويل من اجلها ..

لقد كانت « سلوى » ملقاة على الارض ترتدي لباس العرس الابيض الناصع ، وكانت في غيبوبة شديدة .. ممسكة بقلبها مكان علتها .. وقد بدا على وجهها شحوب ..

وعندما نقلتها الى المستشفى .. صممت على ان ابذل كل ما في وسعي في سبيل نجاتها ..

فأسرعت بالاتصال باصدقائي الاطباء .. واساتذتي .. وبذلوا فوق ما يستطيعون من جهد .. ولكن ما من فائدة ولا تحسن ..

وانسحب الخطيب المرشح للزواج .. بعدما عرف انها مريضة بمرض لا شفاء منه .. وظللت اقوم بتمريضها بنفسي .. وكنت اعنى بأمرها كل العناية ..

ولما أفاقت « سلوى » في اليوم الثالث من دخولها المستشفى .. رأتني اجلس عن كثب منها .. ماسكا يدها الرخصة لاتعرف على نبضها ..

وما أسرع ان تشابكت عيوننا ، ولبثنا على هذه الحال بعض وقت .. ثم أحسست بيدها الرقيقة تلامس يدي وأمسكت بها .. ثم اكبت مقبلة دامعة تسألني العفو والصفح عن الذنب الذي ارتكبه اهلها في تزويجها .. واقسمت لي ان خطبتها كانت خالية من كل الدوافع العاطفية ..

فبادرت أقول لها :

ـ لقد تغاضيت عن هذا كلية .. دعينا من الامس اللعين .. دعينا نعش لحظة اللقاء .. كفى انك امامي .. وبجانبي ..

وهممت في نبرة حزن :



رستم كيلاني

●

ـ وسوف أكون بجانبك دائما بعد موتي ..

وضغطت على يدها في رفق ورفعتها الى فمي وطفقت ألثم اناملها ..

وقلت لها وانا اخفي دمعة حارة كادت تسقط :

ـ لسوف تعيشين يا « سلوى » اعواما عديدة .. أنت بخير .. انت ..

وقاطعتني وهي تربت على يدي والدمع من مآقيها يسيل :

ـ لا اريد شفقتك .. انني اعلم ان نهايتي قربت ..

ـ انها ليست الشفقة التي تدفعني نحوك .. بل الحب .. حبنا الكبير يا « سلوى » انني لا اقوى على الحياة بدونك ..

وقالت خافضة الصوت :

ـ لم يعد عندي ما تحبه يا عماد .. لقد انتهيت .. نعم انتهيت تماما ولم يعد يبقى لك سوى ذكراي .. واملي الاخير ان تظل هذه الذكرى الحلوة عالقة بفؤادك.. لا تنسها ..

ـ ستظل يا سلوى ذكراك عالقة في قلبي طول العمر .. ولن أنساك أبدا ..

ولم تمض أيام حتى ماتت « سلوى » ..

ماتت وعلى شفتيها بسمة حالمة ..

ومرت على حياتي .. ليالي .. ليلاء .. بين الدموع والتحسر والانتحاب .. لقد مررت بفترة ذهول .. ولزمت الفراش مدة .. فلم اغادره قط .. وكأن الدنيا قد ضاقت في وجهي ولم يعد ثمة فائدة لحياتي ..

وتركت الحي الذي كانت تسكنه جارتي الحسناء .. حبيبتي الراحلة « سلوى » وسكنت بعيدا .. وانقطعت عن العالم .. وتغيرت حياتي .. وانفردت بجروحي ووحدتي ..

ولم أنسها .. فكلما جلست مع ذلك الصديق الذي أحببته واصطفيته من بين اصدقائي .. كان حديثي كله عن « سلوى » الراحلة وذكرياتي معها .. ومرضها وتحسري على جمالها الهادىء ..

وبعد مضي فترة طويلة من حياتي الكالحة .. وجدت نفسي مدفوعا بقوة الى البحث عن علاج لهذا الداء الذي اصاب حبيبتي التي افتقدتها ..

فكنت اقضي الليالي والايام ..

مقيم في اغتراب

وحيد يناجي صادحات الحدائق … باشعاره الغر الرقاق الروائق
نأى غير راض فاستطاب بعاده … وقد يجد السلوى فؤاد المفارق
على وجهه سيماء لهثان ضائع … وفي مقلتيه سهد ولهان خافق
وفي يده عود يئن وتينه … انين مشوق خاسر البث عاشق
تخلت بلاد عنه عاش يحبها … واهل اصابوه بقطع العلائق
وانكر اخدان صلات عزيزة … كأن لم تكن احلى الشباب الفرائق
يمر غريبا في شوارع قومه … وحيث قضى لهو الصبي المراهق
ويسعى كمنبوذ من الارض صامت … وليس عجيبا سيره غير ناطق
فما منزل يصغي له متكلما … وان كان من اسلوبه كل رائق
ولا احد يرضى به في جواره … كذي مرض معد خبيث الطوارق
ومن يخبر الدنيا يجد ان خيرها … ـ اذا كان خير ما ـ لشر الخلائق
اقول لهم ماذا اتى من جناية … فما مثل هذا من رجال السوابق
فمن قائل آثامه فوق سارق … وقاطع طرق في البلاد ومارق
فعدت اليه سائلا كيف حاله … فقال انا يا صاح غير منافق
فكل ذنوبي عندهم انني فتى … أجيء اليهم دائما بالحقائق

عدن … علي محمد لقمان

أرقا في قراءة الابحاث الطبية العالمية الحديثة ..

كما أضحى المعمل شغلي الشاغل افرغ له الساعات بأكملها .. اعيش بين العقاقير واجري تجاربي على بعض الحيوانات باحثا عن المصل الشافي لهذا الداء لشفاء اكبر عدد من مرضى ذلك الداء .. من اجل روح « سلوى » الطاهرة ..

ومن حين لآخر كان يرن في اذني صوت مجسم يخرج من جدران معملي .. يهتف باسمي .. صوت آت من عالم بعيد .. بعيد .. انه صوت الحبيبة سلوى ..

ـ سأكون بجانبك دائما بعد موتي ..

واضحى هذا الصوت حافزا قويا يدفعني دفعا لمواصلة ابحاثي ..

★

وعندما وقف الدكتور عماد بسيارته امام منزل الدكتورة وفاء ، استطرد قائلا في ختام حديثه ولهجته فيها مرارة وأسى وبعد ان تنهد تنهيدة ارتياح :

ـ هذه يا دكتورة وفاء قصتي مع سلوى .. او بالاحرى قصتي مع هذا المرض اللعين ..

وصمت .. واستتب ذلك الصمت لحظات ..

حتى قاطعته الدكتورة وفاء قائلة :

ـ اني اكبر فيك يا دكتور عماد الاخلاص .. والوفاء .. ونبل عاطفتك .. وادعو لك من صميم قلبي بالتوفيق في مهمتك .. ومعذرة اذا كنت قد جددت آلامك.

وبقي صامتا وعلى شفتيه ظل ابتسامة خفيفة .. وفي اعماقه الم دفين وقد اكتست عيناه بالدموع..

ولما توارت الدكتورة وفاء داخل منزلها ..

انطلق بسيارته من جديد ..

وفي الطريق .. طاف برأسه خاطر .. فلقد احس في اعماق نفسه بحنين الى الذهاب الى قبر « سلوى » ..

وامام قبر حبيبته وقف في تهيب وخشوع .. وكان يتمتم بصوت متحشرج النبرات :

ـ ستظل يا سلوى ذكراك عالقة في قلبي طول العمر .. ولن أنساك ابدا .. فمتى يحين اللقاء بك هناك في عالم الفناء والخلود .. انني مشتاك الى رؤياك .. متى يحين اللقاء بك يا سلوى .. متى ؟.. متى ؟..

واسترسل في بكاء مستمر ..

وظل سؤاله يتردد صداه في ذلك الفضاء العريض .. بلا جواب ...

القاهرة … رستم كيلاني



سماحة الامام السيد محمد الشيرازي

شعاع من كربلاء

بقلم الهادي العلمي

* * *

في باكستان الشرقية انطلق صوته مدويا ليطالب باعتبار ضحايا النكبة من الذين تحق لهم الزكاة ، ولمنكوبي الضفة الغربية انتصر مطالبا بالمساعدة وفي كل سانحة ومناسبة يرتفع الصوت نفسه من رحاب كربلاء : صوت الامام السيد محمد الشيرازي •

من هو الرجل ؟

هو الامام محمد المهدي الحسيني الشيرازي ولد سنة ١٣٤٧ هجرية ، الموافق ١٩٢٧ ميلادية ، وهو ينتمي الى واحدة من اعرق الاسر العراقية • فاسرة الشيرازي تكاد تكون صاحبة الفضل الاول في حصول العراق على الاستقلال ، ومنها خرج اربعة ائمة تبوؤوا سدة « المرجعية » ، هم الامام السيد محمد حسن الشيرازي ، والامام الشيخ محمد تقي الشيرازي ، والامام السيد عبد الهادي الشيرازي ، والامام السيد ميرزا مهدي الشيرازي • والامام الشاب الذي لم يتجاوز بعد الرابعة والاربعين من عمره واسع الذكاء ، حاضر البديهة ، محيط بشؤون الدين والدنيا ، وما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا • فهو يشرف على لجنة لمساعدة الشبان على الزواج ، بعد ان عز الزواج ، لارتفاع تكاليف الحياة ، وكذلك اسس مستوصفا للعلاج السريع ، وانشأ ناديا اسلاميا يتداول فيه الشبان في شؤونهم الدينية ، واصدر الفتاوى التي تحتاج الى سعة علم ، ورؤية حكيمة ، وكان آخرها فتوى رد فيها على رسائل من باكستان الشرقية ، واعتبر التبرع لمنكوبي فيضان مقاطعة « دكا » بمثابة واحد من واجبات الزكاة •

سلفيات للزواج

وهنا لا بد من التفصيل •••

فسماحة الامام الشيرازي ينظر الى الزواج نظرة واقعية عصرية • فلو ان بامكان كل الشباب ان يتزوجوا مبكرين ، على حد تصور السيد الامام ، لتم القضاء على اكثر العوامل التي تؤدي الى الفساد الخلقي ، والانحلال الجنسي الذي يعاني منه العالم اليوم • ويرد اسباب تراجع نسبة الزواج الى عاملين :

الاول : التعقيد ــ غير اللازم ــ في امور الزواج •

الثاني : عجز الشباب عن تحمل التكاليف الباهظة للزواج •

ولقد حاول الاسلام القضاء على هذين السببين فقرر اولا : تسهيل امور الزواج سواء من قبل الزوج او من قبل والدي الزوجة ، والا تعطى في الزواج اية قيمة للامور المادية الكمالية ، فقال القرآن : « ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » • وثانيا : امر الاسلام المسلمين ان يتعاونوا مع بعضهم في كل الامور وخاصة في الزواج حتى يتم العمل بقول النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا ، تناسلوا ، تكاثروا » ، وبقوله : « النكاح سنتي فمن اعرض عن سنتي فليس مني » •

عملا بالمبدأ الثاني أسس الامام الشيرازي « لجنة الزواج » ، واصبحت اللجنة تتولى تسليف من يقدم على الزواج مبالغ نقدية مناسبة تساعده على تسهيل امر زواجه ، وقد يعطى هذا المبلغ من دون مقابل •

وبعد « لجنة الزواج » والمستوصف ، انشأ السيد الامام فرق الكشافة .

ان الفكرة ، كما وضعها الامام الشيرازي ، تعتبر اكثر الافكار تجاوبا مع العلم الحديث . فهي تعلم الطفل ــ وهو في عمر البراعم ــ كيف ينظم نفسه مع الآخرين ، وكيف يتعامل مع التضحية والفداء . وانطلاقا من هذه المفاهيم قامت مدارس حفاظ القرآن الحكيم بتأسيس كشافة اسلامية تقوم بنشاطات في الاحتفالات الدينية والمناسبات الاسلامية في زي مبدع فنان يمثل الفكر الاسلامي الحديث ، وصلاته بالشعور المطلوب . وقد ارتسمت على قبعات افراد هذه الفرقة صورة للقرآن المفتوح داخل قلب صنوبري ، كما ترتسم على اكتافهم كلمة « علي مع الحق ، والحق مع علي » ، وتعلو صدورهم الآية المباركة : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » . اما شعارهم فهو صورة القرآن المفتوح داخل قلب ، منقوشة على اطارها كلمة : « الله اكبر . لا اله الا الله محمد رسول الله » . وللفرقة نشاطات في الاعياد الدينية ، والوطنية ، وفي مواليد الرسول والائمة الطاهرين عليهم السلام ، كما وانها تشترك في الاحتفالات الضخمة التي تقام داخل مدينة كربلاء وخارجها في المناسبات الدينية .

ذلك هو بعض نشاط الرجل الديني والاجتماعي ، ويبقى شيء عن عطائه الفكري ...

هل تجوز الزكاة بالحلى ؟

ان مؤلفات سماحة الامام محمد الشيرازي اكثر من ان تحصى ، ورغم انه لم يتجاوز العقد الرابع ، فهي تزيد على المئة والعشرة مؤلفات . منها ما يعرض للقرآن والدين ككتاب « تقريب القرآن الى الاذهان » (ثلاثة اجزاء) و « كيف عرفت الله » ، و « هل تحب معرفة الله » و « العدالة الاسلامية » و « محمد والقرآن » و « رسول الاسلام في مكة والمدينة » (اربعة اجزاء) ، ومنها ما يتناول حياة الانبياء مثل : « ابراهيم عليه السلام » و « الكليم عليه السلام وفرعون » و « نوح عليه السلام » ، ومنها ما يعيش المناخ العلمي ككتاب « مباديء الطب » و « جابر بن حيان » و « الشيخ ابن فهد الحلي » .

ولعل فتاوى الامام الشيرازي في الفقه تستوقف الكثيرين من أهل الفقه وطلابه . وللامام في ذلك كتاب من جزئين بعنوان « الفقه » ، وفيه يعرض للزكاة ، وفق الاسئلة المطروحة فيها : « هل تصح الزكاة في الحلى ؟ »

يستشهد الامام الشيرازي على ذلك بقوله في صفحات الجزء الثاني من الكتاب :

« عن حسنة رفاعة انه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال : ليس على الحلى زكاة . وخبر مروان بن مسلم عن أبي الحسن قال : سألت انا عبد الله عليه السلام عن الحلى عليه زكاة ؟ قال : انه ليس فيه زكاة وان بلغ مابة الف درهم . كان ابي يخالف الناس في هذا .

« وخبر العلاء قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : هل على الحلى زكاة ؟ فقال : لا .

« ومرسلة ابن ابي عمير عن ابي عبد الله عليه السلام قال : زكاة الحلى عاريته .

« وخبر الدعائم عن ابن جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا : ليس في الحلى زكاة .

« وخبر الغوالي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : لا زكاة في الحلى .

« والرضوي : وليس على الحلى زكاة ، ولكن تعيره مؤمن اذا استعار منك فهو زكاته ، الى غيرها . فعدم الزكاة في الحلى لا أشكال فيه » .

انه جزء من فتاوى الرجل في القضايا الدينية والدنيوية الطارئة ، فيما يتناول الفقه ، على ان فتاواه العامة المعتمدة على تشريع الاسلام ، وآخرها فتوى الزكاة بالنسبة لمنكوبي فيضان باكستان الشرقية ، تبقى هي الاشد صلة بالعصر ، وتؤهل الرجل ليكون مصدر فتاوى واستئناس لملايين الشيعة الموزعين في مشارق الارض ومغاربها .

العراق — **الهادي العلمي**

جبرائيل كاتول ـ عزيز شحاده
حسني المقدادي ـ رفعت صدقي النمر

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ جبرائيل كاتول

امتاز المربي الاستاذ جبرائيل كاتول بالجدية والاخلاص في العمل وكان شعاره الذي نادى به جهارا خلال عمله المتواصل في قطاع التربية والتعليم : « من يعمل يكافأ ، ومن لا يعمل يعاقب ! »

ولد جبرائيل في « الشوير » بلبنان عام ١٨٩٥ واكمل دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة قريته وفي مدرسة الشوير العالية ، وفي عام ١٩١١ دخل الجامعة الاميركية في بيروت ونال شهادة بكلوريوس في الرياضيات والعلوم عام ١٩١٥ وكان من زملائه فيها الطبيب الشهير الدكتور جورج خياط .

وفي عهد الرئيس هوارد بلس عين « جبرائيل » استاذا في القسم الثانوي من الجامعة الاميركية وعمل في قطاع التدريس من (١٩١٥ ـ ١٩٢٠) وفي خريف ١٩٢٠. التحق بوزارة المعارف في العراق حيث عين استاذا في « دار المعلمين » ومفتشا في الوزارة وفي خريف ١٩٢٢ قصد فلسطين وعين مفتشا في ادارة المعارف العامة بالقدس وساهم في التدريس بدار المعلمين فيها فكبيرا للمفتشين فمساعدا لمدير المعارف العام من (١٩٣٧ ـ ١٩٤٨) .

واشتهر الاستاذ كاتول بالعمل المثمر البناء ، وقد شارك في تنظيم ادارة المعارف العامة بفلسطين كمساعد لمدير المعارف العام ووضع نظاما لتعيين المعلمين وترفيع درجاتهم وفق كفاآتهم واخلاصهم لعملهم ، وفي عهده لم يخرق هذا النظام ابدا وذلك للاستقامة التي عرف بها هذا المربي الغيور .

واشترك الاستاذ جبرائيل في وضع مناهج جديدة للتعليم الابتدائي والثانوي عام ١٩٢٥ ، وترأس لجنة تقرير الكتب المدرسية ، وسعى سعيا حثيثا الى زيادة مخصصات التعليم في المدارس الاميرية ، ووضع مخططا لتكاثر المدارس الاميرية .

وكان من حصيلة اخلاصه للرسالة التعليمية التي اضطلع بها ان ضاعف عدد الطلاب في مدارس المعارف فارتفع عددهم من ٥٥ الفا عام ١٩٤٢ الى ١٠٠ الف عام ١٩٤٧ . وبعد حلول النكبة الفلسطينية المروعة عام ١٩٤٨ جاء الى بيروت وعين استاذا للتربية في الجامعة الاميركية ، وفي عام ١٩٦٦ احيل على التقاعد .

من آثاره القلمية : عالج الاستاذ كاتول موضوعات طريفة في شؤون التربية والتعليم ونشر الكثير منها في مجلتي « الكلية » و « الابحاث » في بيروت ، وفي عام ١٩٦٦ نشر كتابا بعنوان « الادارة التربوية » فلقي اطراء وتقديرا من رجال التعليم والمربين في العالم العربي ، ونشر مقالا ممتعا في « الابحاث » بعنوان « التربية والتعليم في فلسطين » وقد ضمنه تجارب ونتائج ثلاث وثلاثين سنة في حقل التربية والتعليم ، ومقالا آخر طريفا بعنوان « التربية والمدارس والمناهج » .

نماذج من نثره : « لم تنته الحرب العالمية الاولى حتى جللت فلسطين عمامة سوداء كانت نذير سوء ، لا بل نذير صراع فيه الموت او الحياة . فكان الهدف تربية الطلاب على التعاون والتعاضد والامانة واحترام النفس لا بالقول بل بالعمل . ولم تكن وسيلة سوى الرياضة البدنية ، والالعاب ، والجمعيات المدرسية ، ونظام مدرسي جدي ، فكان الكل يعلم انه لا يمكنه الحصول على شيء من لا شيء ، وان امامه نزاعا مريرا ، فكان يتخلل جو المدرسة روح الجد والنشاط والاخلاص في العمل ، وكان المدرسون قدوة صالحة في كل ذلك . فلم تكن المادة معبودهم ، ولا الرياء مذهبهم ، بل كانت شجاعتهم الادبية صامتة لا ضجة فيها ولا مباهاة . وكان مخمدو الثورات المتكررة يحسبون لهذه القوة الصامتة الف حساب ، اما الطلاب فلم يثنهم تفجر القنابل وازيز الرصاص عن المواظبة على المدارس، والثبوت في مقاعدهم حتى النهاية».

« وقد أظهر العربي الفلسطيني رغبة عجيبة في طلب العلم ، فكان يدفع الحكومة دفعا لفتح المدارس ، وكان سخيا في التبرع بالمال والارض لاقامة ابنيتها . وقد شجعته ادارة المعارف على ذلك لتقوية الروابط بين المدرسة وبينه . وفي النهاية كان القروي يعد مدرسة الحكومة في قريته مدرسته وكان فخورا بها مع انه كثيرا ما اشتبك مع الحكومة في صراع مسلح لاسباب سياسية يعرفها العالم اجمع . ففي الثورة العربية التي نشبت بين سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٩ كان الثائر العربي ينزل من الجبال الى قريته فيدفع ما عليه من المال لمدرسة الحكومة ثم يعود الى صفوف القتال ، مع ان الحكومة لم تكن لها سلطة آنذاك في تلك البقاع. وظلت المدارس تعمل في حماية الثوار ورعايتهم حتى هدأت الثورة عند بدء الحرب العالمية الثانية » .

« لا يمكن احدا ان يعزو الى التربية الاثر الفاصل في جميع حوادث التاريخ ولكن لا يمكن احدا ان ينكر ان التربية ـ تربية البيت وتربية المدرسة وتربية المجتمع ـ هي الوقود لسير التاريخ فاذا ساءت ساء واذا جادت جاد .

وما هي التربية ؟ نعلم ان الفرد البشري يولد مجهزا بجسم عجيب التركيب وبجهاز عصبي خواصه الاحساس والقدرة على رد الجواب الى المؤثرات وعلى الاحتفاظ باثر هذه المؤثرات . يولد وهو مجهز ببعض الغرائز والدوافع والانفعالات وبالقدرة على تسخير كل ذلك في تفهم ما حوله وفي التعلم واخيرا في التفكير والاستنتاج بواسطة الاختبار والتعامل بينه وبين بيئته الطبيعية والبشرية .

فهذا الجسم واعصابه وهذه الغرائز والانفعالات وهذه القدرة الكامنة يرثها الفرد عن أسلافه وان اختلف فرد عن آخر فالاختلاف في صفات ما يرث . اما التباين بين الانسان وسائر الحيوانات فليس في تركيب الجسم وخواص الجملة العصبية فحسب بل في نواح اخرى ، فالحيوانات تولد وغرائزها كاملة النمو او قريبة من النمو الكامل ، فاحداث كل تغيير فيها مستحيل او قريب من المستحيل ، واذا كانت الغرائز قابلة للتعديل في بعضها فالى حد محدود ، فالعصفور لا يحتاج الى من يعلمه بناء عشه ، والنحلة لا تحتاج الى من يعلمها صنع العسل، اما الانسان فيحتاج الى مدة طويلة تتراوح بين خمس عشرة سنة وعشرين سنة حتى تكتمل قواه الجسدية والعقلية ، وفي اثناء هذه المدة تكون غرائزه وميوله وانفعالاته غير ثابتة ، بل تكون مرنة قابلة للتوجيه والتعديل ، وهذا التوجيه وهذا التعديل هما ركنا التربية والتعليم » .

« والتاريخ يشهد ان لقادة الفكر ولقادة الاخلاق اثرا كبيرا في المجتمع ، فهم مكونو الراي العام وهم العامل الاكبر في توجيه اهداف التربية ، وللرأي العام وزن فالحكومات والافراد تسترشد به ولا يمكنها اهماله كل الاهمال . والمفروض ان الحكومات من الشعب وللشعب فلا بد من اصغائها الى الرأي العام . وقد كتب الكثيرون وشهروا بعيوب التربية ونقائصها واهمها شيوع الاثرة وفقدان التعاون والثقة وعدم

احترام النظام وقصر البصيرة وقلة المدارس المتصلة مناهجها بالحيـــاة وبالعمل المنتج .

ان ما يكتبون وينشرون حسن ويجب المضي فيه والمثابرة عليه فـلا بد من اثر عاجل او آجل ولا ريب في ان الحكومات ستضطر الـــى حزم امرها فتفرض النظام وتنفذه في عزم وتضع حدا الـــى الاثرة والجشع وتجعل المصلحة العامة فوق مصلحة الفرد . واذا شاع النظام مدة كافية فلا بد من ان يكسب الناس عادات جديدة لانهم يكونون قد عملوا بـــه مرات وتذوقوا فائدته وقد جرب فرض النظام في بعض الاقطار فكان لـه اثر ظاهر . كل ذلك له فائدته وله اثره ولكن الاثــر الاكبر للمدارس مصنع الرجال والنساء » .

« المفروض ان لكل فرد امكانات قابلـــة للتنشئة والتطوير فمنهـا الذكاء وهو في درجات متفاوتة ومنها الدوافع كحب البقاء ويتبعه طلب الطمأنينة والامان . ومن الدوافع ايضا الرغبـة في الاستطلاع وانجـاز الاعمال وهاتان الرغبتان قابلتان للنمو او للجمود فانماؤهما يؤدي الـى الابداع والاختراع والرقي وجمودهما يؤدي الـــى الخمـــول فالتخلف فالانهيار . وفي كل حال يرغب الافراد اجمالا في ان يفسح المجال لهــم لتنمية امكاناتهم وبلوغ ما تصبو اليه انفسهم ، ومن هنـــا تنشأ الحرية التي ينشدون لتحقيق اهدافهم في الحياة .

فعلى الاداري ان يدرك ان البشر ليسوا قطعا آلية بـل لهم دوافع وحاجات نفسية واجتماعية واقتصادية لا يمكنه اهمالها بــل عليــه ان يراعي بعضها ويشجع ما يؤول الى الخير وان يعالج مـــا يؤذي الآخرين فان اعرض عن ذلك ينشأ الجفـاء وتعم الخيبة وتكثـر الفتن فتفسد الاعمال المراد انجازها . يمكن الحكام والاداريين التحكم في الناس بغيـة توجيههم الى مسالك مختلفة في الحياة ، ذلك ممكن الـى اجل قريب او بعيد ولكن لا يمكن أحدا مقاومة الحاجات العميقــــة الاصول في طبيعة البشر مقاومة مستمرة ـ تلك التي تنبثق عنها أهداف الحياة ـ واهمها الحرية لتحقيق الذاتية ! » .

« المعلم عامل في المدرسة وفرد من افراد المجتمع في آن واحــد . ولعلاقته بالمدرسة ناحيتان احداهما تعليمية والاخرى ادارية . فقــد اشرنا الى ما له من حرية ومـا عليه مــن واجبات في التعليم وقد قلنـا ينبغي ان يكون شريكا في الراي وان تكون له حرية التجريب والابـداع لتنمية قواه وتوسيع آفاقه فيستطيع القيام بعمله خير قيام .

ونسأل الآن ما مدى حريته في تعليم تلاميذه ما لـــه علاقة بالعقائد الاجتماعية والسياسية ؟ لا شك في انه حر ان تكون له آراء خاصة لكونه عضوا من اعضاء المجتمع ولكنه وقد وافق طوعا عـــلى خدمة المجتمع في التربية والتعليم فلا يجوز له ان ينشر بين تلامذته آراء ومعتقدات قــد تخالف ما هو عزيز عند اولياء امورهم وليس له ان يتعاطى السياسة . ولكن بحسب اصول الديموقراطية في البحث له ان يحلل هــو وتلامذته جميع العوامل والنواحي المتعلقة بمسالة ما على ان يترك لهــم حرية الحكم . واذا شاء المجتمع ان يرغمه على تلقين تلامذته مـــا هو مخالف لعقيدته فله ان يستقيل من العمل .

اما من جهة علاقته بالناحية الادارية فيجب عليه ان يطيع انظمـة المدرسة ووزارة التربية واذا كان له اعتراض على أحد الانظمة فلـه ان يبين رأيه الى رؤسائه ولا يجوز لـــه الاحتكام الـــى المجتمع بواسطة الجرائد والخطب العامة لان المجتمع قد عهد الى الدولة بادارة المدارس فهي المسؤولة بالنيابة عنه لئلا تتفشى الفوضى وتعم . وفي كل حـــال للعامل في كل منظمة ان يفارق عمله ويعلن الى المجتمع ما شاء من الآراء وهذا حق كل عضو من اعضاء المجتمع !

وللمعلم ان يمارس جميع حقوقه الاجتماعية كفرد في المجتمع ما عدا ما يمس منها أنظمة مدرسته . وزيادة على ذلك يطلب المجتمع منــه ان يكون متصفا بجميع الفضائل وان يتجنب ما يثير الشبهات لانه المثـال الاعلى لاولادهم فحريته من هذه الناحية مقيدة » .

٢ ـ عـزيـز شحـاده

احب السياسة منذ صدر شبابه ... وغاص في لجتها حتى شحمة الاذن ... ومنذ تكشف له وعد بلفور عن وطن قومي يقوم لليهودي التائـه في فلسطين قلب العالم العربي ... وهو يشجب الدولة التي « تطوعت » لاستئصال شعب عريق في الحضارة ، وزرع وطنـــه بشذاذ الآفاق ... ويردد كلمة الكاتب اليهودي الاميركي ايريك فروم :

« لو بدأت جميع الشعوب فجأة بالمطالبة بالاراضي التي كان يعيش عليها اجدادها منذ الفي عـــام ... لتحـــول العالم الـــى مستشفى للمجانين ! » .

ولد « عزيز » في مدينة « بيت لحم » بفلسطين سنة ١٩١٢ وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة صهيون الانكليزية بالقدس ونـال الشهادة الثانوية سنة ١٩٢٨ والتحق بالكلية الانكليزية (كلية الشباب سابقا) ونال شهادتها وشهادتي امتحـــان اوكسفورد وكمبريدج سنـة ١٩٢٩ والتحق بمعهد حقوق القدس واحرز الشهادة سنة ١٩٣٣ وعمـل والده المرحوم بولس شحاده في جريدة « مرآة الشرق » . واثناء دراسته في معهد حقوق القدس انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لمؤتمر الطلبـة العرب وشارك في مؤتمر الشباب المنعقد سنة ١٩٣٣ برئاسة الاستـــاذ راسم الخالدي .

وفي سنة ١٩٣٦ حصل على اجازة بالمحاماة فمارسها في القدس فترة من الزمن ثم هبط يافا وأسس مكتبا للمحاماة وبدأ عملـــه مجانا امام المحاكم العسكرية بالدفاع عن المناضلين العـــرب المتهمين في القضايـــا الناجمة عن الثورة التي نشبت في فلسطين سنة ١٩٣٦ ، وعرف بذكائـه وسرعة خاطره والنكتة البارعة التي يرسلها في سياق دفاعه ، واصبح في فترة قصيرة محاميا مرموقا في فلسطين ، وعالج قضايا الاراضي والقضايا الجزائية والحقوقية ، وظل يعمل في حقل المحاماة حتى نهايـة الانتداب البريطاني على فلسطين ، وهنا بارح يافا الـــى رام اللـــه وأسس مكتبا لمزاولة المحاماة .

وبعد النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) انتخب سكرتيرا للمؤتمر التوحيدي المنعقد في رام الله قبيل « مؤتمر اريحا (١) » والقى كلمـــة قضاء رام الله في ذلك المؤتمر ، فشجب ضم القطاع الفلسطيني الـــى القطاع الاردني قبل ان يتم تحرير فلسطين ، واعلن عدم الموافقة علـــى ضم غير مشروط ، ولما تناهت انباء هذه المصارحة للمغفور لــــه الملك عبد الله حضر وفد من رام اللـــه لمبايعته بيعـــة مشروطة فاجابهـــم : « بيعتكم المشروطة هذه لا اقبل بها ... بيعتكم هذه مردودة اليكم » .

وفي اوائل ١٩٤٩ اشترك « عزيز » في مؤتمر اللاجئين العام المنعقد في رام الله وانتخب سكرتيرا له فعضوا في وفد المؤتمر لمقابلة ـ لجنة (٢) التوفيق ـ الملتئمة في لوزان، وهناك حاول الوفد الفلسطيني اقناع جميع الفرقاء بفتح باب المفاوضات المباشرة لتنفيذ قرار التقسيم (٣) لكـــن الوفد الاسرائيلي رفض الاعتراف بالوفد الفلسطيني كفريق للتفاوض ، واصر على وجوب المفاوضة مع الحكومات العربية الممثلة في ذلك المؤتمر .

وعاد « عزيز » الى رام الله مؤمنا بشجـــع اسرائيل ونواياهـــا التوسعية في الاقطار العربية ، وحذر قومه والمسؤولين في الاردن مـــن اطماع العدو الماكر وتفرغ لعمل المحاماة .

وفي سبيل انصاف اللاجئين الفلسطينيين وابراز ظلامتهم قابل مع وفود فلسطينية كلا من : مستر جونستون وجون فوستر دالاس وزيـــر خارجية الولايات المتحدة في عمان وقدموا اليه مذكرة ضافية حول حقوق الفلسطينيين .

ومستر لوك السفير المتجول للرئيس ترومان ورئيسة النقطة الرابعة.

---

١ ـ في ١ كانـون الاول ١٩٤٨ التـام « مؤتمر اريحا » في مدينـة اريحا ، وقرر المؤتمرون ضم الاجزاء الباقية من فلسطين الـــى المملكة الاردنية الهاشمية .

ومستر موريسون سكرتير مجلس الكنائس ، وكان يسعى لايجاد حل سياسي عادل على أساس مشروع التقسيم .

وبعد مقتل (٤) الملك عبد الله بن الحسين اتهمت السلطات الاردنية باغتياله نفرا من الفلسطينيين فهب « عزيز » للدفاع عن موكليه وهمـا المرحوم توفيق صالح الحسيني وشقيقه الدكتور داود الحسيني فنفى عن كليهما تهمة القتل وبرأ ساحتيهما .

وتنبه « عزيز » للمؤامرة التي حاكتهـا بريطانيا واسرائيل معـا للتضييق على الفلسطينيين وذلك بتجميد ودائعهـم واموالهم التـي اودعوها مصرفي « باركلس » و « العثماني » والبالغة عشرة ملايين جنيه استرليني ، وبعد مرافعات دامت شهرا ونيفا امام محكمة العدل العليا في الاردن الزم المصرفان الاجنبيان بدفـع كافة الحسابات والودائـع لاصحابها .

وللموقف السلبي الذي وقفه الاستاذ شحاده من « مؤتمر اريحا » اخذ المسؤولون ينظرون اليه نظرة عداء وحالـوا مرتين دون نجاحه في الانتخابات النيابية وفي المرة الثانية زج بـه في السجن مع عدد مـن المرشحين وبعد خروجه زار لندن واجرى مفاوضات مع المدير العام لبنك باركلس حول الودائع العينية التي اودعها اصحابها العرب بنك باركلس بفروعه في اسرائيل وقابل عددا من النواب في حزب العمال وصارحهم بالعسف والظلم اللذين اتسم بهما عهد غلوب باشا قائد الجيش العربي الاردني عهد ذاك وبعبثه المتواصل بالانتخابات النيابية وقدم لهم مذكرة بالاشتراك مع زميله الاستاذ محمد اليحيى المحامي حول تصرفات غلوب بمقدرات الاردن في ضفتيه .

ولما تناهت انباء هذه الشكوى الى مسامع غلـوب اصدر امـره باعتقال الاستاذين شحاده واليحيى حالمـا يدخلان الاردن ، وبذلـك حرمهما العودة للبلاد مدة ١٢ شهرا .

وفي سنة ١٩٥٧ دافع مع عدد من المحامين عن الضباط الاحرار امام المحكمة العسكرية الاردنية وما لبث ان انسحب مع زملائه قبـل نهاية المحاكمات لاسباب نشرت في حينها .

وفي ٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ اعتقلته السلطات الاردنية ، على اثر ثورة العراق ، مع الاستاذ نهاد ابو غربية مدير الكلية الابراهيمية في القدس ونقلتهما الى معتقل « الجفر » ومعهما الضباط الذين كان يدافع عنهم .

وبعد الافراج عنه عاد الى رام اللـه وزاول المحاماة بعيدا عـن السياسة حتى وقعت النكبة الثانية في الخامس من حزيران ١٩٦٧ فهب لمساعدة العشرات من السجناء والمعتقلين العرب في اسرائيل وعمل قـدر استطاعته على حماية المصالح العربية في القدس والمنطقة المحتلة ، ودعـا اسرائيل الى منح عرب فلسطين حقوقهم المغصوبة ونشر في صحف اجنبية مقالات نادى فيها بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، ودخل مـع نفر من القادة العرب في الضفة الغربية في حوار سياسي مـع عدد مـن الاساتذة والصحفيين اليهود ، ودعا الى تطبيق قرار التقسيم وقيـام دولة عربية فلسطينية ذات سيادة كاملة ، الا ان الدعايـة الصهيونية اخذت تدس عليه وتحارب الحل الذي دعا اليه .

من آثاره القلمية : بعد ان مارس الاستاذ شحاده المحاماة في اللواء الجنوبي من فلسطين تبدت له اشباح المؤامرة التـي تنسج خيوطهـا بريطانيا وربيبتها الصهيونية العالمية فانتضى قلمـه عـام ١٩٣٦ وصنف كتابا بالانكليزية بعنوان :

A. B. C. of the Arab Case in Palestine

وقد قوبل هذا الكتاب بالاطراء والتقدير . وللحقائق النيرة التـي ساقها الاستاذ شحاده تدليلا على عدالـة القضية الفلسطينية ترجم كتابه هذا لعدة لغات اجنبية باقلام منصفة ، وقد ترجمه الـى اللغـة الاسبانية المحامي فرنسيس عبـد ربه (٥) وطبعـه في مدينة سانتياغو عاصمة الشيلي .

٣ ـ حسنـي المقـدادي

ظل شعاره المحبب الى نفسه قول « جول سيمون » : « الشعب الـذي عنده افضل مدرسة هو افضل شعب ! »

ولد « حسني » في مدينة طولكرم بفلسطين عـام ١٩٠٢ واكمـل دراسته الابتدائية في المدرسة الحكومية بطولكرم والاعدادية والثانوية في كلية الشباب بالقدس (الكلية الانكليزية فيما بعد) وفي عام ١٩٢١ نـال شهادتها الثانوية ودرس اللغة العربية فيها على اللغوي الشهير المعلـم نخلة زريق ، والتحق بدائرة المساحة في حكومة فلسطين وعمل في يافـا وغزة من (١٩٢١ ـ ١٩٢٣) وبعدها استقال من عمله هذا وقصد فرنسا ودخل جامعة مونبليه وعاد الـى فلسطين عـام ١٩٢٦ يحمل شهادة « مهندس زراعي » وعين مديرا للمدرسة الزراعية في طولكرم وفي عـام ١٩٢٨ استقال والتحق بشركة اي. سي. اي بفلسطين وظـل يتنقل في فروعها بين حيفا وبيروت ويافا وبغداد .

من آثاره القلمية : نشر الاستاذ المقدادي عشرات مـن المقـالات العلمية الزراعيـة في صحف « فلسطين » و « الجامعة العربيـة » و « لسان الحال » و « النهار » وتولى رئاسة تحرير مجلة « الشجرة » التي تصدرها « جمعية اصدقاء الشجرة » بلبنان وراسل مـن فلسطين « الجمعية الزراعية الملكية المصرية » وفي عام ١٩٣٠ نشر كتابـا قيمـا بعنوان « الاسمدة » .

نموذج من نثره : « لم يقتصر العرب في مدنيتهم علـى التوسع في العلوم الادبية والفلسفية والدينية وغيرها من العلوم النظرية والجدلية بل كانوا يتقنون قسما مهما من المعارف العملية ويتذوقونها ، فقد كان الرجل العربي في بغداد وخصوصا في الاندلس رجلا عصريا بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن . واذا اعتبرنا ما نقرؤه في تاريـخ الاندلس نجـد ان الشباب المتوسط في قرطبة او غرناطة كان في وقت مـا يتذوق الموسيقى والفن المجرد ويفقه من الثقافة الادبية والعلمية اكثر من الشباب المتوسط في القدس او بيروت او دمشق الآن .

يعترف المطلعون بفضل العرب علـى علـوم الهندسة والجبـر والحساب والفلك والطب والجراحـة والبنـاء والصناعات المختلفة . وكذلك هم يعترفون بفضلهم على العلوم الزراعية ، ولسنا نبالغ اذا قلنا ان قسما من البلاد الاوروبية قد تقدمت في زراعتها على أساس تعاليـم الزراعيين العرب في الاندلس .

كان في الاندلس بين العرب اساتذة في الزراعة ومؤلفون ، ولبعضهم تجارب واكتشافات زراعية خاصة أفادت العالم وساعدت علـى تقـدم الزراعة في اوروبا وفي غيرها من البلاد . بين هؤلاء نذكر العلماء الزراعيين الذين اشتغلوا في الاندلس وهم كثر منهم :

١ ـ ابو زكريا يحيى بن محمد ابو احمد بن العوام والمعروف بابن العوام ، كان يقطن اشبيلية وعاش فيها في القرن الثاني عشر للميلاد وقام بتجارب زراعية ، خاصة على جبل الاشرف بالقرب من اشبيلية ، وألف كتابا خطيرا في الزراعة اسماه « كتاب الفلاحة » المعروف والذي ترجـم الى لغات عديدة وفيه اربعة وثلاثون فصلا وترجمته الفرنسية تستغرق نحو ألف وخمسمئة صفحة (ترجمه كليمان موله) .

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن الفاضل الاندلسي :

ان المعلومات الواردة عنه غير ثابتة وقد يكون هو نفسه ابن البصل والمعروف عنه انه كتب بحثا طويلا في الزراعة وانه عاش في القرن التاسع للميلاد .

٣ ـ ابراهيم بن محمد بن البصل الاندلسي المعروف بابن البصل

---

٢ ـ كان قوام ـ لجنة التوفيق ـ هذه في قضية فلسطين ممثلـي الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا .

٣ ـ اقترعت هيئة الامم على تقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ .

٤ ـ قتل الملك عبد الله في ٢٠ تموز ١٩٥١ اثنـاء تاديتـه صلاة الجمعة في المسجد الاقصى .

٥ ـ من بيت جالا بفلسطين .

ولا يعرف عنه الا انه مؤلف لكتاب واسع في الزراعة ولكتاب آخر يدعى كتاب القصد والبيان .

٤ ـ ابو عمر احمد بن محمد بن الحجاج ولد في الظاهر باشبيلية وانشأ كتاب المغني حول سنة ٤٦٦ هجرية وهو مؤلف زراعي أكبر .

٥ ـ الحاج احمد الفرناطي صاحب كتاب في مختصر الزراعة وقد عاش في القرن الثاني عشر للميلاد .

٦ ـ ابو الخير الاشبيلي صاحب مؤلف في الزراعة ولـــه تجارب زراعية خاصة ويذكره ابن العوام في كتاب الفلاحة مرات عديدة .

وهناك اسماء اخرى لمؤلفين وعلماء زراعيين من العرب اتى علـى ذكرهم ابن العوام في (كتاب الفلاحة) وهنـاك قائمة اخرى للزراعيين العرب الذين اشتغلوا في زراعة العراق وسورية وغيرهما من البلاد التي نمت فيها الثقافة العربية .

سمعت مرة استاذا فرنسيا يحاضر عن الـري الزراعي ويذكر ان طرق الري التي لا نزال نستعملها هي منقولة عـن زراعيي العرب في الاندلس وقد استغربت حينئذ قليلا ولكن استغرابي زال بالمرة عندما شاهدت في « بلنسية » باسبانيا ان بساتين البرتقال لا تزال للآن تسقى من الاقنية التي انشأها المزارعون العرب . وطريقة الـري المتبعة في مقاطعة بلنسية حتى الآن هي طريقة القناة الرئيسية والاقنية الفرعيـة الموزعة وهي طريقة العرب . ولا تزال للان في الاقنية الرئيسية احجار مفروزة على جانبي القناة لادخال احجار مبسوطة لسد القناة وتحويل مجرى المياه الى احدى الاقنية الفرعية . ويقتسم زراع بلنسية الميـاه كما كان يقتسمها العرب منذ القدم . واذا حدث خلاف يرجعون الـى محكمة المياه المؤلفة من شيوخهم ، وهي محكمة اهلية على طريقة العشائر العربية لا دخل للحكومة فيها وحكمها مبرم والمخالف يحرم مـن المياه . وهذه المحكمة موروثة عن العرب ولا تـزال تجتمع تحت السماء وفي نفس الموضع الذي كانت تجتمع فيه محكمة المياه العربية اي بجانب بـاب كاتدرائية قديمة يقال انها مؤسسة على انقاض مسجد .

وتوجد النواعير التي تدار على الخيل في بعض المقاطعات الاسبانية وقد شاهدتها في جهات بلنسية وهي تشبه طريقة القواديس في بيارات فلسطين ويقال ان العرب ادخلوها لاسبانيا وهي لا تزال تسمى « ناعورة» باللغة الاسبانية .

ومن آثار الزراعة العربية في الاندلس قنال خوكار او شوكار طوله ثلاثون كيلو مترا وعرضه ثلاثة امتار ينقل المياه مـن نهر خوكار ويوزعها على اراض واسعة بين بلنسية وقريتي السويقة والصيرة وهو يسقـي حقول الارز الخصبة وينتهي في مستنقع البوفيرا وقـد اخبرني اسباني بلنسي ان هذا القنال هو من عمل العرب وهو كباقي الاقنية في غايـة الاتقان والاستقامة . وهناك اقنية اخرى كثيرة في جميع انحاء اسبانيـا التي مكث فيها العرب وكلها تدل على تقدمهم في هندسة الري في ذلـك الوقت .

والمعروف ان العرب هم الذين ادخلوا زراعة النخيل والرمان والارز وقصب السكر والقطن والترمس والنارنج أي ابو صفير او الخشخاش وكذلك البرتقال الذي هو مورد ثروة في اسبانيا وربما هم الذين زرعوا الزيتون وزراعات اخرى كثيرة . ولا تزال حـراج النخيل العربية بين غرناطة ومرسيا تذكرنا بنشاط العرب العجيب في ذلك الوقت .

وهناك اثر عظيم من آثار العرب في زراعة الاندلس وهو فن هندسة الحدائق والرياض الخاصة والعامة فقد نشأ في اسبانيا ذوق عربـي في تنسيق الحدائق له ميزاته التي جمعت بين الرقة والبساطة مـع سمو الغاية . وليس في مقدوري بسهولة وصف هـذا الفن العربي رغم انـي شاهدت وتعشقت حدائق قرطبة البديعة وجنة العريف الشهيرة ، ولذلك انقل ما كتبه (ستابلي بين) عن تأثير العرب في حدائق اسبانيا في ملحق « التايمس » الخاص باسبانيا سنة ١٩٢٦ وهو خير وصف قرأته :

« ان الحدائق في قرطبة واشبيلية ورونda وغرناطة لهـي تمثـل الحدائق الاسبانية وميزاتها احسن تمثيل ، ورغم هذه الصبغة فهـي حدائق ذات أصل شرقي فقد تقدمت وتحسنت ووصلت الى درجة الكمال في المقاطعات التي حكمها العرب اكثر من غيرها .

اننا لا نعرف الا القليل عما كانت عليه هذه الرياض في ايام خلفاء قرطبة وملوك غرناطة . وكل ما نعرفه الآن هو ان هذه الحدائق تختلف اختلافا كبيرا عن الحدائق الاوروبية لانهـا تأثرت بالطقس وبعـادات مبدعيها . فطقس الاندلس حار وجاف وهذا يفسر لنا الساحة المحاطة بحائط يظلل الاشجار والناس حول عين تبعث في الجو شيئا من الرطوبة المنعشة !

على ان للدين أثرا آخر في هـذه الهندسة فقد كـان المبدع لهـذه الجنائن مسلما وقد كان ايضا شرقيا يميل الى الانفـراد والوحدة . الحديقة الاندلسية ليس فيها تماثيل. فتمثيل الاجسام البشرية كانمكروها عند اناس لا يسمح لهم دينهم بتمثيل الله بالبشر . اما التماثيل القليلة التي نراها الآن في الحدائق الاندلسية فقد نصبت بلا شك بعد الاحتلال المسيحي ، بل كان يكتفي العربي الاندلسي بالقرميد والازلـج وبتزيين الجدران بمعجون الجبص باشكال والـوان مختلفـة وببعض الاقواس الجميلة ، ولهذا لم تكن الحديقة لتكلفه كثيرا عند انشائها ، وقد كـان يعتمد كثيرا على الوان القرميد الملون لتزيين البستان اكثر مـن الوان الازهـار .

اما الازهار فكان يزرعها العربي الاندلسي في قوارير ليسهل نقلهـا وبذلك كان يغير شكل الحديقة ومناظرها كيفما اراد . امـا البـلاط والقرميد الملون فكانا يبنيان جيدا ويكونان قسما فنيـا في الجنينة . فالعيون والاحواض والمقاعد والممرات والادراج كانت تزخرف بالقرميـد الملون بالوان مختلفة وكان ذلك يبعث في وسط الحديقة جمالا وبهاء .

ان اجمل حديقة صغيرة في قرطبة هي حديقة الماركيز دوفيانا وفيها قسم لاشجار البرتقال وقسم للازهار المزروعة في قوارير وآخر فيه عـدد من شجر السرو الجميل مع عين في الوسط وهذا بالطبع طراز عربي .

وفي اشبيلية بعض حدائق شهيرة منها حديقة القصر الملكي التـي تعد اجمل متنزه يجوز للانسان ان يتخيله . وفي روندا بستان مسكـن الملك العربي كما يدعونه حتى الآن وفي غرناطة جنـة العريف الذائعـة الصيت .

كان العربي يجد في حديقته قسما ملازما لبيته وحياتـه العائلية فكان يجد فيها نفس الوحدة والخلوة والاستقلال كانه في بيته . لقد كانت حديقة من اجل الحديقة والفن فلم يداخلها من الاشياء المصنوعة سوى الازلج .

ولا يسع المتفرج ان يترك هذه الخلوات المنعشة دون ان يتـولاه شيء من الحزن والاسف على الشعب الغريب الذي بذر هذه البذور في اسبانيا ليقطفها غيره وينعم بها سواه ! »

٤ ـ رفعـة صدقي النمر

كان الشعار الذي آمن به « رفعة » وظل يردده ويجاهر به منذ تفتـح ذهنه للقضايا العربية ، ووعى آلام امته ... كلمـة الوطنـي المناضل مصطفى كامل :

« لو انتقل فؤادي من الشمال الى اليمين ، او تحولت « الاهرام » من مكانها المكين ، ما تغير لي مبدأ ، او تحول لي اعتقاد » .

ولد « رفعة » في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٩١٨ وانهى دراسته الابتدائية في المدرسة الصلاحية ، والثانوية في « كلية النجاح الوطنية » بنابلس عام ١٩٣٦ في عهد رئيسها الدبلوماسي العربي فريد زين الدين. وبوصفه رئيسا للطلاب الفلسطينيين اعتقل واودع معتقل صرفند واقـام فيه ثمانية شهور ، وكان الباعث على هـذا الاعتقال اشتراكه في بعض المعارك التي دارت رحاها في فلسطين عام ١٩٣٦ .

وفي عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت وانهـى فيها صف الصفمور وفي عام ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ التحق بكليـة الآداب في

جامعة القاهرة ونال منها ليسانس آداب عام ١٩٤٢ . وخلال دراسته في جامعة القاهرة شكل « جماعة الطلاب العرب » ومن نشاطات هذه الجماعة بعث القومية العربية واعتبار مصر جزءا من الامة العربية ، وقد اسندت رئاستها الفخرية للدكتور عبد الوهاب عزام ورئاستها الفعلية لـ « رفعة » .

وفي عام ١٩٤٣ عاد الى فلسطين وعين مساعدا لمدير التموين بالقدس ثم التحق بالبنك العربي فيها لغاية ١٩٤٥ وفي عام ١٩٤٦ عين مساعدا لمدير البنك العربي في بغداد وكان له نشاطات قومية مع نفر واع من القوميين العرب .

وبعد عام سلخه في بغداد نقل عام ١٩٤٧ مديرا للبنك العربي في عمان وظل يعمل في هذه المؤسسة القومية لغاية ١٩٥٦ ثم نقل عام ١٩٥٧ مديرا للبنك العربي في نابلس . ونتيجة للاوضاع السياسية التي سادت الاردن عام ١٩٥٧ اضطر « رفعة » لمغادرة البلاد وعين مديرا اقليميا لبنك الرياض في المنطقة الغربية وظل يدير هذا المصرف الى منتصف عام ١٩٥٩ حيث عين مديرا عاما لبنك القاهرة في المملكة العربية السعودية ، وبقي يصرف اعمال هذه المؤسسة المالية حتى منتصف عام ١٩٦٢ ثم عين مديرا عاما للبنك الاهلي التجاري السعودي في سورية ولبنان ومركزه مدينة بيروت .

وفي عام ١٩٦٣ انهى عمله للاوضاع السياسية التي كانت تسود المنطقة ، وفي عام ١٩٦٤ أسس « البنك الاتحادي العربي » في بيروت وعين رئيسا لمجلس ادارته ومديرا عاما له ، وما زال يدير دفة هذه المؤسسة المالية بحنكة ودراية .

وفي القطاع العام دخل « رفعة » المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٦٤ وانتخب نائبا لرئيس مجلس الصندوق القومي . وفي عام ١٩٦٦ اختارته الفئات القومية عضوا في اللجنة التنفيذية « غير متفرغ » لغاية ١٩٦٨ وقد شارك في المؤتمرات العربية الفلسطينية التي عقدت في القدس (عام ١٩٦٤) وفي القاهرة (عام ١٩٦٥) وفي غزة (عام ١٩٦٦) وفي القاهرة (من عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٠) .

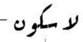
نموذج من نثره : نشر « رفعة » مقالات توجيهية في صحيفتي « الدفاع » و « فلسطين » معالجا بعض الامور السياسية التي ترتبط بفلسطين ، قضية العرب الاولى ، ودونك فقرات من مذكرة سياسية بقلمه :

« من خلال القوة والعزيمة ، ومن خلال التصميم والعمل الذي وطدت الامة العربية العزم على تحقيقه ، بعد النكسة التي منيت بها هذه الامة . ورغم اللحظات القاسية التي تمر بها امتنا في حاضرها المرير ينبغي ان يبدأ البناء السريع المكين للغد المأمول ، بعيدا عن تدخل العاطفة في تقييم ما جرى . واذا كان نقد الذات امرا لا مفر منه ، كسبا للعبرة وافادة من التجربة ، فلا بد من ان يقترن هذا النقد للذات بايضاح الطريق الذي سيقودنا الى خطة الاعداد لاستئصال شأفة الاستعمار من ارضنا العربية بكل ما فيها من قواعد ومرتكزات ، من اهمها واشدها خطرا « اسرائيل » شريطة ان يقترن هذا العمل بنكران الذات .

ان الحقيقة التي يجب ان تظل ماثلة للعيان هي ان احتلال العدو لارضنا ، واخضاعه قسما من هذه الامة لنير عبوديته لاهون بكثير من التسليم النهائي بكل ما يصحبه من هوان واذلال ، والى ان يتم النصر النهائي وبتحقق الهدف الكبير فان أي نصر مرحلي سيظل في حقيقته مدخلا من مرحلة صعبة الى مرحلة اصعب واكثر دقة واشد حاجة للاحساس بالمسؤولية وتحمل عبئها !

واذا كانت قضية فلسطين ملزمة للعرب اجمعين ، فان للفلسطينيين دورا خاصا بهم ، فهم طليعة المواجهة العربية وعليهم ان يعدوا انفسهم اعدادا كاملا ليقوموا بدورهم الطليعي وان يوحدوا جهدهم على طريق النضال ليظل عملهم جزءا اساسيا من المواجهة العربية الشاملة !

كانت القضية الفلسطينية تشكو من ان جهات دولية عديدة ، ومنها جهات تقدمية لا تنظر الى القضية الفلسطينيةنظرة عدل وانصاف.



يضمحل الجسم ، والعقبى حروف واضحه
وتثير الشوق أيام تقضت ، جامحه
يا لشوق رفض الضعف ، ودنيا كالحه
ليلها الواقع ضرب من ليال بارحه
أسكون ، وعلى الوهن أمان نابحه
ضاريات ، تقضم القيد بناب جارحه

لا سكون .. لنفوس طامحه

حلب — علي الناصر
١١ - ١ - ١٩٧٠

والواقع اننا لا نستطيع ان نبرىء انفسنا من هذا المأخذ ، فغياب الشعب الفلسطيني عن ساحة قضيته ، وغيابه عن ممارسة اي نشاط قادر على دفع القضية وتحريكها ... هذا الغياب قد ساعد الحركة الصهيونية على تقليص حجم هذه القضية وطمس معالمها واخفاء حقائقها ، على ان حركة المقاومة اذا ما تصاعدت فهي كفيلة بان تعيد طرح القضية على الراي العام العالمي بصورتها الحقيقية ، فالتوحيد اذن والتنسيق على الاقل خطوة ضرورية لتصعيد المقاومة وتعزيزها ، فتعدد المنظمات في ميدان واحد هو خطر في حد ذاته لاسباب جوهرية ثلاثة :

الاول : ان التعدد يؤدي الى تفتيت وحدة الامة ، ويتيح للقطاعات المترددة ان تظل في ترددها لانها تعايش انقسامات غير مفهومة لديها .

الثاني : ان التعدد يؤدي الى خلق روح المزايدة حول المنجزات العسكرية بحيث تنمو حالات عرضية بعيدة عن القضايا الحقيقية للنضال، وفي جو كهذا تغيب الجوانب الحقيقية للخلاف وتكثر الشائعات والاتهامات المتبادلة لتصبح حديث اليوم .

الثالث : ان تعدد المنظمات يتيح الفرصة لتواجد منظمات مشبوهة، تدعي لنفسها حق الوجود وهو امر قائم الآن ويعرف الفدائيون واقعه ووقائعه تفصيلا . وهذه الظاهرة تستعمل كورقة رابحة لضرب حركة المقاومة بالصدام المباشر فيما بينها او بتحملها مسؤولية الموافقة على مشاريع بين بين ... هي اضعف من ان تمنع .

بقيت عملية اختيار اللجنة التنفيذية وهي الجهاز الذي لا بد من ان يكون على ارفع مستوى ممكن من ابناء فلسطين فيما يتعلق بالطاقات التنفيذية فنيا وسياسيا بحيث يستطيع اعضاؤها الاستمرار الفعال والتحرك الدائم ، وهذان العنصران يضمنان وجود لجنة تنفيذية تعتبر قدر الامكان الجهاز الفلسطيني الذي يضم صفوة العناصر القادرة الواعية من ابناء شعبنا ، وبهذا نستطيع تنسيق الجهود وتوحيد الطاقات وتصعيد العمل الفدائي وفق المخطط السياسي السليم .

والمخطط الذي نتطلع اليه يجب ان يوضع وينفذ ، بعد وضعه ، بكل دقة واخلاص بحيث يشتمل على اسلوب جديد في الحياة وفي التفكير ، ويضع الانسان العربي امام مسؤولياته الكاملة ، فاذا فشل هذا الانسان بعد ذلك في تحمل المسؤوليات حكم على نفسه بالاعدام والموت الزؤام .

عمان — الاردن — البدوي الملثم

حينما تسلم « سليم » كتابا ينبئه فيه وزير التربية والتعليم بأن قرارا صدر عن رئاسة الوزراء باحالته على المعاش ، اخذ يفكر فيما ينبغي له ان يفعله في مستقبله . انه ليس في حاجة الى مصدر رزق يستمد منه مالا يضيفه الى راتبه التقاعدي ، فان له في مسقط راسه وهو قرية صغيرة تقع على مقربة من العاصمة التي وظف فيها ، اراضي واسعة يضمن له ريعها عيشة هانئة . وفضلا عن ذلك فان راتبه التقاعدي ضخم يكاد يبلغ راتبه وهو يعمل موظفا ، فقد مضى عليه عدد كبير من السنين وهو موظف حتى بلغ منصب مفتش .

ان ما يفكر سليم فيه الآن هو العمل . انه يأبى ان ينزوي في منزله ويقطع صلته بالعالم من حوله . ما زال شابا في نفسه وفي صحته . لقد رأى كثيرين من الموظفين المتقاعدين يسيرون في ضعف مستعينين بعكاكيز . ان صعدوا في طريق مرتفع بهتوا ، او اكلوا اكلة دسمة تألموا ، او مارسوا عملا ما توقفوا . عزا كل ما اصابهم من ضعف الى شعورهم بأنهم قاموا بواجبهم في هذه الحياة وادوا ما انيط بهم من عمل في سني شبابهم ، ولم يبق لهم الا ان يستريحوا في العدد القليل الباقي من سني شيخوختهم .

اما سليم فانه لم يشعر بما يشعر به كثيرون من الموظفين المتقاعدين . انه يرغب في العمل . يرغب في القيام بعمل مجيد يختم به حياته ـ تلك الحياة الحافلة بالكد والجهاد . لقد توفيت زوجته . اما ابنه الوحيد فهو يعمل موظفا في وزارة الشؤون الاجتماعية . واذن فمجال العمل امامه واسع وممهد . اعتزم في نفسه ان يعود الى القرية التي انبتته ويتفقد اراضيه هناك ويؤدي عملا ضخما مفيدا للقرويين . له عشرون سنة لم يتفقد في خلالها قريته واهاليها ، فقد كان يعتمد على قريب له استخدمه وكيلا له في الاشراف على فلاحة اراضيه وزراعتها .

عاد سليم الى قريته واوى الى منزله القديم ، واخذ يعمل فيه بيد الاصلاح حتى تحول الى قصر مريح . ولكن ما حز في نفسه ان القرويين لم يستقبلوه استقبالا حسنا يليق بهوبمقامه وشخصيته. كان يمر بهم شاعرا انهم ينظرون اليه نظرتهم الى رجل غريب حل فيهم متطفلا . سمع احدهم يوجه اليه قولا جارحا : « نعم يجب ان تعود الى اصلك . انك لا تستطيع ان تنسى انك فلاح ابن فلاح » . وقال له قروي آخر بصوت



بقلم عبد الحميد الانشاصي

منخفض : « لقد كنت وانت مفتش في وزارة التربية والتعليم شامخ الانف مصعر الخد لا تتنازل ان تعين ابني معلما في مدرسة ابتدائية صغيرة » . وقال قروي ثالث : « الآن تفتقدنا ؟ بعد ان مضى شبابك وبلغت الستين من عمرك واحلت على التقاعد ؟ عد من حيث اتيت ، فان ذلك خير لك » .

شعر سليم بغم شديد ، ولكنه لم ييأس . لقد اجاب اولئك الحاقدين في نفسه دون ان يسمعوا من اجوبته كلمة واحدة .



(اصوات من الداخل: ماذا فعلت بك يا هذا حتى تحاول ان تهينني وتحقرني بقولك : فلاح ابن فلاح ؟ وانت يا من ابيت ان اتدخل في تعيين ولدك معلما في مدرسة . الم يكن ابنك قليل المعلومات عاجزا عن نيل الشهادة الثانوية ؟ ما ذنبي في ذلك ؟ وانت يا من ابيت ان اتدخل في تعيين هل الشيخ رجل لا يصلح للعمل ؟ الى اين ذهبت خبرتي التي كسبتها في سني شبابي ؟ لقد ادخرتها كلها في شيخوختي ، ويمكنني الآن ان انتفع بها) .

(منظر في الداخل : يقف سليم على منصة ويخطب في جمهور غفير من القرويين شارحا وجهة نظره في اصلاح القرية ، وحاثا لهم على مساعدته على تنفيذ فكرته لعلهم ينتفعون بها . وقد بدت على وجوه الجلوس علامات التشجيع والتقدير والمؤازرة) .

قضى يومين وهو يتجول في القرية متفقدا . لاحظ ان القرية تفتقر الى منازل جديدة على الطرز الحديثة . كل دورها بنيت بحجارة غير منقوشة تجمع بينها طينة غليظة بشعة الشكل ، وعقودها واهية لا تتخللها قضبان من الحديد ، وتعلوها حزم من القش . واسوارها مؤلفة من حجارة خشنة صففت بدون ان تثبت بالطين . وداخلها مظلم قذر كداخل السجون . ولاحظ ايضا ان شوارع القرية ضيقة متلوية كالثعابين الضخمة في قارة افريقيا . وكان يسير فيها وتسير معه القطط والكلاب والديوك. وكان يسمع المواء والنباح والزقاء فيشعر كأن اصوات الفناء تنقض على القرية لتحولها الى مقبرة .

مر بأحد القرويين وقال له :

ـ لماذا لم يشيد اغنياء القرية منازل مريحة على الطرز الحديثة ؟

فأجابه الرجل وعلامات التألم

بادية على وجهه :

ـ ان اغنياء القرية رحلوا عنها الى العاصمة . انهم يقيمون هناك في منازل فخمة، وقد نسوا قريتهم.

ـ أليس لكم مجلس قروي ؟

(يخيل الي ان القرية بلا مجلس قروي حتى ولا مختار) .

ـ مجلس قروي ؟ هناك مختار يجتمع من حين الى آخر الى عدد من الوجهاء في المضيفة ويقررون ما ينبغي عمله من أجل القرية .

(ما هذه الاسئلة الغريبة ؟ ما هدفك من ذلك ؟)

القى القروي على سليم نظرة استفهام طويلة . انه يريد ان يعرف من هو محدثه وما قصده من سؤاله . اما سليم فقد القى على الفلاح نظرة شكر حافلة بالتفكير الغامض الحزين ، ثم هز رأسه للرجل وقال :

ـ اشكرك !

ثم مضى . وبقي القروي مفتوح العينين والفم في استغراب دون ان يتحول من مكانه وينصرف .

جلس سليم تحت شجرة في منزله ، وراح يفكر في حال قريته . لقد اسف على بقائها على حالها الاولى بلا تطور ولا تقدم . انها شبيهة بكومة من نفايات فاسدة فيها العظام المعروقة والحزق البالية والفواكه العفنة والعلب الصدئة . هكذا بدت البيوت الصغيرة الدميمة المختفية تحت حزم القش ، وطوابينها القذرة التي ينبعث منها الدخان من حين الى آخر ، وشوارعها الضيقة التي كسبت ارضها ترابا وحجارة وحصباء ، ومزابلها التي تتصارع عليها الكلاب والقطط وهي تبحث فيها عن رزق لها . واخيرا صمم سليم على الاجتماع الى القرويين والقاء كلمة ينبئهم فيها بوجهة نظره في شأن اصلاح القرية وتقدمها .

دخل سليم المضيفة ذات يوم والقى السلام على الحضور ، وكان بينهم مختار القرية . فرد عليه القرويون السلام في فتور ، فقد كان الشيوخ منهم حاقدين عليه . اما الشبان فمعظمهم لا يعرفون من هو سليم . ابتلع سليم تلك الاهانة في صمت دون ان يظهر لهم انه تأثر بسوء تصرفهم نحوه . انضم اليهم مجردا نفسه من ماضيه المجيد ـ من منصبه في وزارة التربية والتعليم ، ومن شخصيته في الوظيفة ، ومن ماله الكثير ، ومن اصدقائه ذوي الحسب والجاه والثقافة الذين تركهم في العاصمة . جرد نفسه من كل ذلك وتحول الى



عبد الحميد الانشاصي

★

قروي كغيره من ابناء قريته ليشعرهم بانه رجل متواضع لا غرض له من قدومه القرية سوى الاهتمام بأمرهم وتحسين احوالهم وحالة قريتهم .

مضت برهة طويلة قبل ان يسألوه عن حاله . ومضت برهة طويلة اخرى قبل ان يقدموا اليه فنجانا من القهوة . كانوا ينظرون اليه في استطلاع . وكان يلقي نظره بعيدا عنهم في صبر وتجلد وتفكير . مر وقت طويل دون ان ينطق سليم بكلمة حتى سئم القرويون صمته ، وراحوا يتحدثون بعضهم الى بعض ظانين انه اضحى معتوها من شدة انهماكه في العمل الرسمي . والحقيقة انه كان في تلك اللحظة يفكر في الطريقة التي يعرض بها افكاره على اهل القرية ويقنعهم بصحة رايه . ولما لاحظ انصرافهم عنه بالحديث التفت اليهم قائلا :

ـ كيف احوال القرية ؟

(ليتكم تعترفون بأن حالتها سيئة !)

فانفجرت الاجوبة :

ـ حالتها حسنة . ـ انها كما ترى . ـ الم ترها من قبل ؟

(كانه ليس من ابنائها . لقد اصبح أجنبيا . ـ ماذا جرى لعقله ؟)

فتنهد سليم ثم قال :

ـ اود ان اصارحكم يا اعزائي ان القرية في حالة بؤس وتأخر شديدين . لي عشرون سنة لم ازر فيها القرية لاشتغالي باعمال الوظيفة . وانني لآسف على ذلك . لقد كنت احن الى قريتي كثيرا . ويسرني انني عدت اليها اخيرا لاعيش فيها عيشة استقرار . وبعد جولات عديدة قمت بها في القرية تبين لي انها بحاجة شديدة الى الاصلاح .

وهنا قال احد القرويين في استغراب :

ـ اصلاح ! ماذا تعني بالاصلاح؟ الا تعجبك قريتنا ؟

(هذه فلسفة جديدة جئتنا بها. الم تر قريتك من قبل ؟)

وقال قروي آخر في سخر مكتوم :

ـ ما هذا الاصلاح الذي تقترحه علينا ؟

(لا شك ان في عقلك شيئا من الهوس . اسكت فقد اضحيت الآن شيخا خرفا لا يصلح للعمل) .

فواصل سليم كلامه في ثقة وايمان :

– لقد لاحظت ان اغنياء القرية يرحلون عنها الى العاصمة ليقيموا فيها اقامة دائمة . وهذا هو الذي كان سببا في تأخرها . والاغنياء لم يجدوا فيها وسائل الراحة التي يجدونها في المدينة . اي ان القرية لا تبدو قسما من المدينة بل تبدو شيئا آخر يختلف عنها كل الاختلاف . لذلك علينا ان نسعى لتحويل القرية الى قسم من المدينة فيها ما في المدينة من وسائل الراحة . فان تم ذلك شعرنا اننا نعيش في العالم واننا مرتبطون بالاجزاء الاخرى من العالم .

قال احدهم بصوت مرتفع وعينين باسمتين :

– وماذا نفعل حتى تصبح قريتنا قسما من المدينة ؟ ماذا تقترح علينا ؟

(لا شك انك رجل خيالي مخبول) .

فأجابه سليم بصوت مفعم بالتأكيد واليقين :

– عليكم بالكهرباء . امدوا القرية بالكهرباء . ان الكهرباء نور الحضارة والراحة والهناء . هي التي تدير في المنازل الثلاجات والغسالات والتلفزيونات . انها هي التي تدير آلة السينما التي تعرض عليكم افلاما تسليكم وتقدمكم . انها هي التي تنير مصابيح منازلكم وشوارع قريتكم ، وتبعث الحركة في محركات المصانع والمعامل .

قال المختار :

– كل هذا حسن . ولكن من اين نأتي بالكهرباء ؟ ان العاصمة بعيدة عنا ، وشركة الكهرباء هناك لا تمدنا بها .

(ان سعيت انت بيننا وبين الشركة كنت بطلا عظيما) .

فأجاب سليم في هدوء :

– يمكننا ان نجمع من اهالي القرية مبلغا من المال يكفي لهذا المشروع الهام .

(هذا امر هين ان كانت لديكم ارادة) .

فقال احد الحضور :

– ليس لدينا المبلغ الذي يتطلبه انشاء الكهرباء . الكهرباء تتطلب مبلغا ضخما .

– ارجو ان تفكروا في الامر مليا ، وبعد ذلك يسهل جمع المبلغ المطلوب .

★

سمعت سلوى ، وهي مديرة مدرسة اناث القرية ، بالحديث الذي جرى بين سليم والقرويين فأعجبت بمقترح سليم وودت لو ان الاهلين وضعوه موضع التنفيذ .

وفي ذات يوم اجتمعت الى ابيها ، مختار القرية ، وقالت له في حماسة :

– ان سليما يا ابي رجل مستنير . فعليكم ان تعملوا بما قاله لكم .

فحدجها المختار بنظرة شزراء ثم قال لها :

– وماذا يعنيك من امره ؟

(انت امرأة ولا يجوز لك ان تتدخلي في شؤون الرجال) .

فابتسمت سلوى واجابت في هدوء :

– لا غرض لي سوى المصلحة العامة – مصلحة اهالي القرية .

ثم صمتت قليلا ، وبعد ذلك قالت وهي تحدق الى ابيها :

– لا تنس يا ابي ان سليما هو الذي عينني مديرة لمدرسة القرية حينما كان مفتشا في وزارة التربية والتعليم .

(هل نسيت فضله علينا ؟)

– ولكن الناس جميعا يبغضونه . انهم لا يطيقون رؤية وجهه .

– ينبغي لهم ان يحبوه لانه يسعى لمصلحتهم .

فقال المختار في غضب وهو يشير بيده اشارة نفي بقوة عصبية :

– دعينا من امره ! مالنا وله ؟.

ولكن سلوى لم تعبأ بغضب ابيها ، بل اعتزمت ان تبذل جهدها في مساعدة سليم لتنفيذ مقترحه .

القت على بنات المدرسة كلمة اعلمتهن بها بما جرى بين سليم والقرويين من حديث ، واقنعتهن بأن الكهرباء ضرورية جدا للقرية لكي تتطور وتصبح مريحة للاهلين . ثم اوعزت اليهن بالقيام بمظاهرة صاخبة والطواف في الساحات العامة من القرية .

وبعد مضي اسبوع من اجتماع سلوى الى ابيها تجمعت بنات المدرسة في احدى الساحات العامة ، ومنها انطلقن في مظاهرة ضخمة ، واخذن يصحن بملء افواههن : « نريد الكهرباء ! نريد الكهرباء ! الكهرباء ضرورية لكل قروي وقروية » . وكان الرجال يقدمون من كل صوب لرؤية المتظاهرات وسماع اقوالهن . وقد تأثروا ببساطتهن وحماستهن .

وقد سرت سلوى بتحقيق هدفها على ايدي بنات المدرسة ، فوزعت عليهن قطعا من الشوكلاته الشهية . وحينما علم سليم بالامر اثنى على سلوى وعلى ما فعلته بنات مدرستها من اجله ، وود لو اجتمع اليها ليشكرها على تشجيعها ومساعدتها له في الدعوة الى القيام بالمشروع الكهربائي . وقد وصف احد رجال القرية سلوى لسليم فاعجب بجمالها واستنارة عقلها ، وتمنى لو اتخذها زوجة له . ان كان هو شيخا فان سلوى فتاة نصف فهي في اعتقاده لا تمانع ان تكون زوجة له .

ولكن المختار سخط على ابنته سلوى لحثها بنات المدرسة على القيام بتلك المظاهرة فجردها من حقوقها في كل ما يترك لورثته بعد موته من اراض ومواش واموال . غير انها لم تكترث لذلك ، فقد شعرت انها قامت بواجبها نحو الحق والقرية .

وفي ذات يوم مر سليم بمدرسة القرية متجها الى مكان لقضاء حاجة

عندما يموت الحلم

●

عام مضى مذ أبحر الـ ... ـملاح وانسدل الستار
عـام مضى وتناثرت ... في الشط اغلفة المحار
عـام مضى وانا هنا ... اقتات احـلام النهار

يـا دفء أيـام مضت ... هل عـاد يجديني ادكار
والحلم .. أين الحلم ؟ يسكب في اوهـام انتصار
شطآنـه مرسى الفـر ... ق وان تباعدت الديـار

الحلم مـات ، ودفؤه ... ولى ، وقد خمد الاوار
والعمر منغلق كصمت الـدرب غشاه الدمار
والحزن مخضر الخطى ... كالمد لا يبغي انحسار
هـو وحده ظـل الحيا ... ة يدب في ارض البوار

دمشق ... سلافة العامري

له فيه فرأى مديرة المدرسة قادمة نحوه . ولما اقتربت منـه حيته في ادب وابتسامة خفيفة ثم قالت لـه في جراة :

ـ أود ان اشكرك بنفسي على العرف الجميل الذي اصطنعته الي بتعيينك اياي مديرة لمدرسة هـذه القرية .

فاجابها سليم في خجل :

ـ استغفر اللـه يـا آنسة ! استغفر الله ! ان هذا واجبي نحو كل فتاة مثقفة ذكية .

وبعد هنيهة من الصمت قالت سلوى :

ـ لقد اعجبت يا استاذباقتراحك الذي أقترحته على أهل القرية وهو امداد القرية بالكهرباء لكـي تنتعش وتتطور . لا شك انـه اقتـراح مدهش .

(انك لست متقدما في السن كما وصفوك لي . ان عينيك يتجـول فيهما بريق الشبـاب ، ووقفتك ثابتة قوية) .

فقال سليم بصوت حيـي وابتسامة خفيفة :

ـ انه لمما يسرني ان اجـد فتـاة مشجعة لي في القرية . ليت الرجال يشتركون معـك في تشجيعي ! اذن لكانت القرية كلها في خير .

(انك رائعة الجمال . ترى هـل قدر لي ان اتزوج بك ؟)

ـ هل تظن ان رجـال القريـة ما يزالون يبجلونك ؟

(لقد اقتنـع بعضهم بصحـة اقتراحك) .

ـ اجل .

ـ كلا . يمكنك ان تقوم بتحقيق المشروع الآن ومعك عـدد غير قليل من الوجهاء . وانت رجـل غني . لقد اقتنع بعض القرويين بصحـة رايك . ان كثيرات مـن زوجاتهم اعلمتني بذلك .

ـ ممتاز ! شكرا لـك ! سأبيع اراضي كلها لاشتري لوازم الكهرباء .

(انني مغامر . انـا اهـوى المغامرة) .

ـ بديع ! وانني اعدك بأن اعطيك كل ما لدي من مال مشاركة مني في تحقيق غرضك .

(يمكنك ان تطلب يدي من ابي . انه لا يرد طلبك) .

ـ جميل ! انك متحمسة جـدا لهذا المشروع. يسرني ان تشاركيني في ذلك . ان هذا شرف عظيم لي . اشعر الآن بأن عبء الحياة الـذي اضطلع به قد اصبح خفيفا علـى كاهلي . واذن فقد اتفقنا .

بعد عشر سنين ازدهرت القرية ازدهارا سريعا فقـد سرى نـور الكهرباء في عروقهـا وحولها الـى مدينة صغيرة .

عمان ... عبد الحميد الانشاصي



في ظلال الاندلس

تاليف سلمى الحفار الكزبري ـ ١٦٠ صفحة ـ مطابع ألف باء / الاديب بدمشق ١٩٧١

بعد العديد من المؤلفات القيمة التي قدمتها السيدة سلمى الحفار الكزبري ، نثرا بالعربية وشعرا بالفرنسية ، ابتداء بباكورتها « يوميات هالة » حتى كتابها السابق « عنبر ورماد » تطل علينا اليوم بكتابها الجديد الانيق « في ظلال الاندلس » الذي يضم اربع محاضرات : القت اثنتين منها بالاسبانية في قاعة « الاتينيو » في مدريد ، واثنتين القتهما بالعربية في دمشق .

ولقد كان لي حظ الاستماع الى احداهما ـ الاولى في الكتاب ـ يوم القتها السيدة سلمى في مدريد عام ١٩٦٧ ، وهي « عاشقا قرطبة : ولادة وابن زيدون » ، كما كان لي حظ الاطلاع عليها بالعربية ونحن معا ـ سلمى وأنا ـ في فندق سان فرانسيسكو في غرناطة ، في ضيافة وزارة الاعلام والسياحة الاسبانية في ذلك الحين . وكانت سلمى قد اعدت المحاضرة باللغتين معا : بالاسبانية لتلقى في مدريد ، وبالعربية لتلقى بعد ذلك في تونس . وقد لمست في تلك المحاضرة ـ كما ألمس الآن في المحاضرات الاخرى ، ولا سيما الثانية منها التي عنوانها « اثرنا في اسبانيا » التي ألقيت في دمشق عام ١٩٦٥ ـ مدى الجهد الذي بذلته سلمى في البحث والتنقيب في بطون الكتب العربية والاسبانية والفرنسية ، لكي تقدم عملا وافيا جديرا بالتقدير . اما المحاضرة الاخيرة « الاعياد والتقاليد في اسبانيا » فهي اغتراف من الذاكرة ، ومن المشاهدة المباشرة ، مما لا يحتاج الى بحث وتنقيب في الكتب ، ولكنها في الوقت نفسه ممتعة وطريفة ، لما فيها من مشاهد جديدة كأنما تعرضها سلمى في شريط ملون .

وسلمى اديبة وشاعرة تمتاز ـ كما يصفها الاستاذ شفيق جبري بحق في مقدمة الكتاب « بسلامة الذوق ، وقوة الحس ، ونضج الفكر، وحسن التمييز ، ونشاط الحياة » . واضيف انا الى كل اولئك « الاناقة » الفائقة : سواء في حياتها الشخصية ام في عبارتها الادبية التي تحسن اختيارها للتعبير عما تريد ان تقوله . وهي اناقة تتميز بالبساطة المحببة ، لا بالفخامة المتبجحة .

هذه الصفات لمستها في شخص سلمى ، كما لمستها في مؤلفاتها التي قرأتها بلذة واعجاب ، ولا سيما « عينان من اشبيلية » ـ روايتها الرائعة حقا ـ و « الغريبة ـ ونساء متفوقات ـ وعنبر ورماد ـ » وكذلك في ديوانيها الشعريين باللغة الفرنسية : « الوردة الوحيدة ـ ورياح الامس » الزاخرين بالعاطفة الرقيقة النبيلة ، والحس المرهف ، والخيال الجميل . وقد قمت بترجمة ثلاث قصائد منهما الى العربية عام ١٩٦٧ .

في المحاضرة الاولى من كتاب « في ظلال الاندلس » ، وعنوانها « عاشقا قرطبة » درست سلمى حياة ولادة وابن زيدون ، وشعرهما ، وحبهما ، دراسة مطولة ، فيها التحليل النفسي والادبي البارع ، والسرد الممتع .

وفي المحاضرة الثانية « اثرنا في اسبانيا » كانت سلمى اديبة واسعة الاطلاع ، صبورة على البحث الجاهد ، بارعة في استخلاص الحقائق من الواقع ومما كتبه الآخرون ، قديرة في التمثل . ولكنها فوق ذلك كله كانت بنت سوريا العربية الفخورة بتاريخ بلدها وقومها : فهي في اسبانيا تعيش تاريخ بني أمية بكل مفاخره وامجاده ، وتعيش سوريا بماضيها وحاضرها ، وترى في كل ما تقع عليه عينها صورة من دمشق : بيوتها ، طراز حياتها ، هندسة ابنيتها ، تقاليدها وعاداتها . وهي تلمس كل ذلك ، وتبرع براعة فائقة في نقل احساسها به الى القارىء ، او الى المستمع ، فتعديه بشعورها. الحس الوطني الفخور بوطنيته والمتلىء منها هو الصفة البارزة في هذه المحاضرة الثانية من الكتاب ، الى جانب صفة البحث الرصين الجاد ، ولا سيما في الحديث على اثر اللغة العربية الباقية في لغة الاسبان الى يومنا هذا .

اما المحاضرة الثالثة « المرأة العربية » ـ وكانت سلمى قد ألقتها بالاسبانية في مدريد عام ١٩٦٣ ـ فان القسم الاخير منها ، الذي يتحدث عن نهضة المرأة العربية الحديثة ، قد جاء قويا في تصويره للمرأة العربية ، ونهضتها الواسعة في كل مجال من مجالات الحياة ، مما لم يعرف له كل التاريخ العربي مثيلا . اما القسم الاول منها في الحديث عن اثر المرأة العربية في التاريخ القديم ، فقد كان ضعيف الركائز والاسانيد والامثلة ، لان اثر المرأة في الماضي لم يستطع ان يسعف المؤلفة بالكثير من النماذج التي تستحق الذكر . كل ما في الامر اسم هنا وآخر هناك ، في اقطار مترامية من الارض ، وفي قرون متطاولة من الزمن ، مما لا يدل على نهضة حقيقية للمرأة العربية ، اذ كان بروز امرأة « شذوذا » عن القاعدة ، لا يسمح مطلقا بالحديث عن (نهضة المرأة) . غير ان اعتداد سلمى القومي دفعها الى المباهاة بالقليل النادر ، واعتباره شيئا يستحق المباهاة . اما اليوم فالامر مختلف جدا، لان نهضة المرأة العربية حقيقية وعظيمة البروز بشكل لا مجال فيه للادعاء ، بل لعل الادعاء نفسه يظل دون الحقيقة منه ، وسلمى نفسها نموذج منه . وعلى هذا فالتعميم فيما يتعلق بالحاضر امر جائز جدا ، او هو امر واقع ، بينما كان الامر في الماضي شذوذا فقط ، لا يجوز معه التعميم في الحديث عن نهضة المرأة .

وفي محاضرة « عاشقا قرطبة » كانت حماسة سلمى لابن زيدون وشعره شديدة جدا ، وكان تمثلها بما كتب المستعربون عنه وعن شعره يعزز من حماستها له . ومع تقديري البالغ لراي الصديقة الكريمة ، ولحماستها في الدفاع عنه ، أرى ان الصناعة اللفظية ـ التي تنفيها سلمى نفيا مطلقا في محاضرتها ـ كانت أبرز ما في شعر ابن زيدون ، حتى لتطغى كثيرا على عاطفته ، وتسمح لمثلي بأن يشك في صدق تلك العاطفة، ويرى ان ابن زيدون كان احرص على اظهار براعته في فنون البديع منه على اظهار عاطفة حب صادقة لولادة . ولقد خرجت من دراستي الشخصية لشعر ابن زيدون بأن شعره في الحنين الى قرطبة ، وفي حبها ، كان اصدق عاطفة ، واقل لجوءا الى الصناعة اللفظية من شعره في حب ولادة والحنين اليها .

اليك مثلا الابيات التالية التي تصفها المؤلفة بانها « بليغة عذبة »:

يا ليت ما لك عندي	من الهوى لي عندك
فطال ليلك بعدي	كطول ليلي بعدك
سلني حياتي ، اهبها	فلست املك ردك
الدهر عبدي لما	اصبحت في الحب عبدك

أفي هذه الابيات عاطفة حقا ؟ افيها عذوبة حقا ؟ أم كل ما فيها تلاعب بالالفاظ لابراز البراعة في التصرف بفنون البديع ؟ انني لا ألمس

في هذه الصناعة عاطفة صادقة .

وخذ ايضا قوله :

يا فتيت المسك ، يا شمس الضحى   يا قضيب البان ، يا ريم الفلا

وقد اعتبرت المؤلفة ما في هذا البيت اوصافا حقيقية لجمال ولادة . ولكن ، أليست هذه كلها اوصافا غبية ميتة ؟ واين العاطفة فيها ؟ وهل يمكن ان تكون اوصافا حقيقية للحبيب ، أم هي مما يقوله الشعراء لمجرد الاغواء ، لا لاظهار عاطفة صحيحة ؟ ثم ما الذي يجتمع لنا من تجميع (فتيت المسك ، وشمس الضحى ، وقضيب البان ، وريم الفلا) معا ، وهي صفات ليس فيها غير التنافر والغرابة ؟

ولست ادري كيف استنتجت المؤلفة ان ولادة كانت « حنطية البشرة ، سوداء العينين » من قول ابن زيدون :

فهمت معنى الهوى من وحي طرفك لي   ان الحوار لمفهوم من الحور !

و « الحور » هو شدة سواد العين وشدة بياضها . والبيت لا يوحي بأي وصف للون وجه الحبيبة وعينيها ، وانما هو « كلام » من اوصاف الشعراء المألوفة في القديم ، التي كانت تتردد دون ان تعني شيئا حقيقيا ، لمجرد التعلق بالوان البديع ، وابداء المقدرة فيها ، وقد كان ذلك صفة العصر حينذاك ، وكان التقليد في ترديد مثل هذه الصفات هو الغالب على اقلام الشعراء والسنتهم . ثم انني ، في هذا البيت خاصة : لا ارى لما يقوله ابن زيدون معنى حين يجعل من « حور » الحبيبة « حوارا » يفهم منه معنى الهوى ... أتراه قال شيئا جديرا بالالتفات ؟!

حتى (نونية) ابن زيدون الشهيرة ، ارى فيها من التعلق بأهداب الزخارف اللفظية ما يجعل العاطفة فيها شيئا ثانويا ، ويسمح لي بأن اعتقد ان ابن زيدون كان على استعداد للتضحية بالحب والحبيبة ولا يضحي بصناعته اللفظية المزركشة بصنوف البديع . حتى المطلع نفسه كان شيئا من هذا التلاعب اللفظي :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وكذلك قوله :

من مبلغ الملبسينا بانتزاحهمو   حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا
ان الزمان الذي ما زال يضحكنا   أنسا بقربهمو قد عاد يبكينا

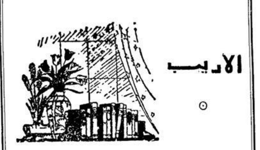
الى آخر القصيدة ... وكل بيت من ابياتها يجمع فنونا من البديع ينصرف اليها الذهن اكثر مما ينصرف الى المعاني ، والى تلمس صدق العاطفة .

اقول هذا وأنا اعلم انه مما يجوز اختلاف آراء النقاد واذواقهم فيه . وليست سلمى وحدها في الاعجاب بهذا الشعر ، ولا سيما ان ابن زيدون كان نجما لامعا في سماء الشعر الاندلسي قل ان يدانيه شاعر آخر ، مما تجد معه سلمى العذر في التحمس له ، وفي الايمان بصدق حبه لولادة استنادا الى شعره الكثير فيها وفي الحنين اليها .

الى جانب هذه الملاحظات ، هناك ملاحظة اخرى في الكتاب : فلقد كان الحديث في الصفحات ١١٦ الى ١١٩ منه مكررا ، اذ ورد كله في المحاضرة السابقة (ص ٧٨ ــ ٨٠) . على ان هذا التكرار الذي قد يستغربه القارىء في الكتاب انما يبرره اختلاف المحاضرتين ، والزمانين اللذين ألقيتا فيهما ، وكانت احداهما « اثرنا في الاندلس » قد القيت بالعربية في دمشق ، والثانية « المرأة العربية » قد القيت بالاسبانية في مدريد . وفي هذه الحالة كان التكرار امرا طبيعيا ، وله ما يبرره .

اما محاضرة « أعياد وتقاليد في اسبانيا » فان فيها الكثير مما يطيب للمرء ان يعرفه عن اسبانيا . وقد ابدعت سلمى في تحليلها لاثر العرب في الاعياد والتقاليد الاسبانية ، كما ابدعت في تحليلها للنفسية الاسبانية في تلك الاعياد والتقاليد . وفي هذه المحاضرة يتجلى اعتداد سلمى القومي كما يتجلى في المحاضرات الثلاث السابقات . وهو ما تستحق عليه سلمى التقدير والاعجاب .

وبعد هذا الحديث الطويل عن كتاب « في ظلال الاندلس » الذي اعادني الى ذكريات لطيفة من ذكريات الاندلس الجميل ، اود ان اقول



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

☎ الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 ☎
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ــ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
ألبير أديب

للصديقة الادبية : شكرا على الهدية ، وفي انتظار المزيد من الانتاج الادبي الفني الممتع .

عمان – الاردن عيسى الناعوري

•

حكاية الادب العربي المعاصر

تاليف خالص عزمي – ١٥٧ صفحة – مكتب دار القلم ببغداد ١٩٧٠.

الكتاب في نظري ثلاثة : كاتب يكتب . وكاتب ينهب . وكاتب يهرب .

اما الكاتب الذي يكتب : فهو الذي يكون باستطاعته ان يغترف من معين المعرفة انى شاء ومتى شاء . فيسيل نمير قلمه على خدود الاوراق ، فيكون نتاجه صورة بارعة ، او فكرة جديدة ، او حكاية طريفة ، او قصة خالدة ، او نقدا بناء ، او مقالة موجهة . او غير هذا من الاصناف الادبية العظيمة ، التي ترسي أسس الكيان الادبي ، والبحث العلمي .

اما الكاتب الذي ينهب : فهو الذي لا يكلف ذاته مشقة البحث ولا عناء التحقيق والتدقيق ، ولا يحترم مطالعيه ، ولا يلتفت الى حق الآخرين ، الذين قدموا عصارة افكارهم ، ونور عيونهم ،ودماء قلوبهم للناس . فسطا عليهم بغفلة من الرقباء ، وانتهب ديارهم بجراة اللصوص . وادعى بعد ذلك انه هو المبدع المفكر المخترع !!

اما الكاتب الذي يهرب : فهو الذي لا يقول الحق ، ولا ينطق بالوجدان ، ولا يزيل المكروه عند احتدام الشدائد ، وعند معترك الحياة . يخفي جمال الحقيقة ، ويشوه قدسية اللفظة ، فيهرب من الاصلاح ، ويتباعد عن الصواب ، ويتنصل من المسؤولية . ومن هذا الطراز نجد الكثيرين في عصور الادب قديمه وحديثه .

ان الاستاذ الصحافي المحامي الاخ خالص عزمي هو من الفئة الاولى ، يحمل القلم ليكتب . مرة في القصة ، واخرى في التراجم ، وثالثة في الصحافة ، ورابعة في الادب . فهو صحافي اولا ، ومحام ثانيا ، واديب ثالثا ، وموظف في وزارة الاعلام رابعا . وآخر جولاته الادبية كتابه « حكاية الادب العربي المعاصر » الذي اصدره مؤخرا في العراق .

والكتاب مجموعة مقالات سبق لبعضها ان نشرت في بعض الصحف العراقية . تناول فيه حكاية ادب البلدان العربية التالية مع المهجر ، وهذه البلاد هي : المغرب ، الجزائر ، تونس ، ليبيا ، مصر ، السودان . واعتبر هذه المجموعة (الجزء الاول) من دراسته الشاملة ، وسيكون (الجزء الثاني) منه يخص الادب في : لبنان ، سوريا ، فلسطين ، العراق ، الكويت ، وامارات الخليج العربي ، والجنوب العربي . مع اضافة فصل خاص عن ادب النكسة في حزيران سنة ١٩٦٧ .

واتبع الكاتب طريقة (المسح الجغرافي) لعلمه « بانها تسهل على الكثيرين تقصيه وربط اجزائه في حلقات تقرب من فكرة وحدة الادب في مراميه واهدافه » .

ويقول عن الاسباب التي دفعته لوضع كتابه هذا ما لاحظه من ندرة المصادر ، التي تبحث في أدب المغرب العربي ، بشكل خاص ، وما لاحظه من بعد صلة ادباء المشرق العربي بالنتاج الادبي الرائع الذي وضعه ادباء المغرب ..

والحقيقة ان كتاب الاستاذ عزمي ، لم يخصص فيه الا جزءا يسيرا عن المغرب ، في حين ان ما عرضه عن ادباء المغرب العربي ، لا يعدو صفحات معدودة . واعطى كل قسم من تلك البلاد العربية الشقيقة ، لمحات عابرة ، مع نماذج نثرية وشعرية ليس بعضها الا بمستوى بسيط . كما انها جاءت سريعة العرض ، متواثبة الخطوات ، قليلة الصور .

ان ادب المغرب العربي لم يكن خافيا عن انظار العالم الشرقي . كما ان شعراءه وكتابه ، وصحافته ، وتاريخه ، ورجاله . قد درس معظمها ، ونشرت عنها الدراسات المتعددة ، ثم ان كان عدم اطلاع لبعض الناس عليه لا ينفي وجوده ، وجهل مكانته ، في اوساط الطبقة المتعلمة والمثقفة ، والمختصة .

وقد لاحظت ان الاستاذ عند حديثه عن بعض شعراء المغرب جعل من جملتهم الشاعر السوري الحلبي « عمر بهاء الدين الاميري » . في حين ان الاستاذ الاميري ، هو استاذ نزيل بصورة موقتة في المغرب ، ونحن عرفناه منذ سنين طويلة من كتاب سورية ، ومن شعراء مجلة « الحديث » الحلبية و « الاديب » . فكيف جاز عده من شعراء المغرب .؟

اما في حديثه عن ادب المهجر ، وهو ادب غزير معروف مدروس ، فقد وردت دراسته عنه قصيرة النفس ، متباينة الملامح ، ووقع في ذات الخطأ الذي وقع فيه عند حديثه عن ادباء المغرب . حيث انه جعل المرحوم الدكتور « احمد زكي ابو شادي » والشاعر « عمر ابو ريشة » من ضمن ما عرضه لهم ، وقدمه عنهم ، من ابناء المهاجر العربية .

وما وجود الدكتور ابو شادي وسفره واقامته هناك وغربته وموته الا ببواعث اضطرارية اختارها لنفسه في اواخر عمره وهو يعد من شعراء مصر ، وهذه دواوينه ومسرحياته المتعددة تثبت ذلك من « الشفق الباكي » الى شقيقاته الاخريات . واشار الاستاذ جعفر الخليلي كذلك عن هذا الراي في رسالته التي نشرت في « الاديب » المنصرم من اعدادها .

واما الشاعر عمر ابو ريشة فهو ولا شك معروف في الاوساط الادبية احد دعائم الشعر العربي المعاصر في سورية ، وما وجوده في المهاجر الجنوبية الا نتيجة عمله كسفير سياسي مقيم ومتنقل . ولست اجد مناسبة تبرر ادخاله في رعيل الادباء المهجريين . حتى ولو كان ذلك على سبيل الاستشهاد في موضوع وغرض الحنين الى الوطن .

اما ما شرحه وبسطه عن الادب المصري ، والسوداني ، فلست معلقا عليه الا بشيء يسير وهو انه كان عرضا تاريخيا مختصرا لجميع اغراض الادب وفنونه الشعرية ، والنثرية ، منذ عصر النهضة الحديثة المعاصرة الى عام المأساة الفلسطينية في الخامس من حزيران لسنة ١٩٦٧ . وكنت اتمنى على الاديب الفاضل خالص عزمي ان لا يكثر من سرد الاسماء دون ان يدلل على مكانتها ، مع نقدها نقدا موضوعيا بعيدا عن عاطفة الحب ، وحرارة الاعجاب ، التي كثيرا ما نراها حاجزا دون الوصول الى اعماق الحقيقة المجردة ، والواقع الثابت .

وفي نهاية هذا الرأي ، اتمنى ان يمد القارىء العربي ، بما لديه من ثمرات قلمه الواعي ، ومن حصيلة آفاق خياله الخصيب . وله مني الشكر والتقدير على هديته الطريفة .

بغداد – كلية الآداب محسن جمال الدين

•

محمد روحي الخالدي

رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين

تاليف الدكتور ناصر الدين الاسد – ١٦٠ صفحة – حجم كبير – منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة

ليست الترجمة الذاتية لعلم من الاعلام بالامر الهين ، والجهد القليل ولكنها الضنى والفناء ، والعكوف على المصادر والمراجع والدوريات ،

والبحث والتنقيب عن كل ما يتصل بالعلم المترجم له .

وقد تكون مؤلفات العلم المترجم له ، وآثاره الفكرية متوفرة امام الباحث سهلة المنال في حين ان تتبع السيرة ، واستقصاء مراحل النمو العقلي ، ومتابعة عوامل التكوين الفكرية ، والمؤثرات الطبيعية والثقافية للمترجم له من الامور الصعبة التي لا يتيسر التغلب عليها .

نقرر هذه الحقيقة ونحن نقدم للقراء كتاب محمد روحي الخالدي للدكتور ناصر الدين الاسد الذي نشره معهد الدراسات العالية التابع للجامعة العربية منذ فترة وجيزة وتبلغ صفحات الكتاب مائة وستين صفحة من القطع الكبير وقد قسمه المؤلف قسمين ضم كل قسم ثلاثة فصول تناول في الفصل الاول من القسم الاول الاسرة الخالدية ، وفي الثاني سيرة المترجم له وآثاره : وفي الثالث عوامل تكوينه الفكرية وعرض في القسم الثاني لكتبه فتناول في الفصل الاول كتابه : تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ، وفي الثاني كتابيه « رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي في اقسام العالم الاسلامي » و « المقدمة في المسألة الشرقية منذ نشأتها الاولى الى الربع الثاني من القرن الثامن عشر » وفي الثالث كتابيه « الانقلاب العثماني » و « الكيمياء عند العرب » . وختم البحث بخمسة ملاحق عن محاضرة للمترجم له في باريس سنة ١٩٨٧ ، وفصل من كتاب الكيمياء ، وفهرست كتاب الانقلاب العثماني ، ونموذج من خط المترجم له وصورة شمسية له .

ومع ان الباحث صديق قديم تربطنا به اقوى صلات المودة والاخاء، والصداقة ربما تدفع احيانا للمجاملة فاننا نقرر في صدق ونزاهة انه ادمى قدميه وهو يشق الصخور التي اعترضت طريقه ، واضنى بصره وفكره وهو يزيل غبار الزمن المتراكم على حياة روحي الخالدي .

واذا اضيف لذلك تعذر حصوله على المصادر والمراجع اللازمة مع وجودها في المكتبة الخالدية في بيت المقدس نتيجة لوقوع المدينة المقدسة تحت قبضة الاحتلال الصهيوني الاثيم ، ووقوفه مكرها عندما توافر له من مصادر ومراجع ، اتضحت القيمة الحقيقية للجهد العلمي الشاق الذي عاناه وهو يقدم لنا بحثه الممتع .

ولقد جنت مأساة فلسطين على الشعب الفلسطيني حين تشرد في الآفاق وعلى الادب والفكر والتراث الفلسطيني حين تبعثر وتبدد بعد ان احتلت العصابات الصهيونية فلسطين سنة ١٩٤٨ ، واغتصبت الجزء الباقي في حرب يونيه سنة ١٩٦٧ .

وعلى الرغم من تعذر حصول الباحث على كل ما كان يريد الاطلاع عليه فان النقد النزيه ينوه بما بذل في سبيل الاطلاع على ما اطلع عليه، والاشادة بما رجع اليه واستقى منه مادة بحثه ومما رجع اليه صحف ومجلات كانت تصدر في عواصم الاقطار العربية في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، والاول من القرن العشرين ومن امثلة ذلك المحاضرة التي القاها روحي الخالدي في دار الجمعيات العلمية في باريس سنة ١٨٦٩ وعنوانها « رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي ، وفي اقسام العالم الاسلامي » ورجوع الباحث ـ اي باحث ـ الى صحف ومجلات مضى عليها اكثر من سبعين عاما امر بالغ الصعوبة لا يعرف اهواله الا من كابده ، واراق ضياء بصره على سطور هذه الصحف .

وتتجلى في البحث ، وفيما سبقه من ابحاث ظهور شخصية الباحث، واستقامة منهجه المعتمد على تتبع الظواهر وملاحظتها واستقصاء الادلة ومناقشتها لاستخلاص الحكم الذي يصل اليه .

ويبدو هذا واضحا في الفصل الثالث من القسم الادبي الذي تحدث فيه عن عوامل تكوين روحي الخالدي الفكرية ، وخصائصه الفنية حيث لا يقف عند مجرد ذكر هذه العوامل وانما يقدم من الادلة والبراهين والمناقشات ما يدعم رأيه ويؤيد وجهة نظره .

ومن سمات الباحث ذلك الاسلوب المشرق الذي يستخدم فيه الكلمات استخداما محددا ، والذي تبدو في ثناياه شفافيته وسعة اطلاعه.

وفي فلسطين واتجاهات ادبها ودراسة شعرها قدم الباحثدراسات موفقة ، وابحاثا ممتعة فقد نشر له معهد الدراسات العربية كتابه الاول في هذا الموضوع « الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن » سنة ١٩٥٧ ، و « الشعر الحديث في فلسطين والاردن » سنة ١٩٦٠ ، وعن اعلام النهضة الفكرية في فلسطين صدر له عن المعهد السابق « خليل بيدس » سنة ١٩٦٣ و « روحي الخالدي » سنة ١٩٧٠ .

ومن سماته المحببة التي ترفع من قدره وتعلي من شانه في نظر الباحثين والدارسين تواضعه الجم ، وحرصه على البعد عن الزهو والافتخار بما يقدم للمكتبة العربية من آثار اذ يقول في مقدمة كتابه عن روحي الخالدي :

« ولست ازعم ان هذه الدراسة قد بلغت منتهى ما كان ينبغي لها فقد حالت دون ذلك حوائل يعرفها كل من حاول الضرب في هذا الطريق. وما جمعته في هذه الدراسة كان اقصى ما استطعت الوصول اليه ، وقد حرصت على تسجيله وابرازه قبل ان يعض عليه الاغفال ، ويذهب به النسيان . وحين يأذن الله بكشف البلاء ، وتفريج الكرب ، ورفع الغمة فان ما يتاح الوصول اليه حينئذ كفيل بسد ما في هذه الدراسة من ثغرات » .

ما اجمل وقع هذه الكلمات على صدور الذين يعيشون مع الكتب ، ويغوصون على الدرر ويقدمونها لامتهم وللمفكرينوالقراء في انحاء الدنيا.

تحية منا للصديق العالم الاديب الباحث الدكتور ناصر الدين الاسد تحية اعجاب بما قدمه للفكر من آثار ، وتحية تقدير لخلقه الكريم وتحية لتسليطه الاضواء على رواد نهضتنا الفكرية والادبية في الاندلس الثانية ، في فردوسنا المفقود . في فلسطين .

مصر الجديدة — **كامل السوافيري**

اشواق بوذا

ديوان شعر ـ احمد مخيمر ـ (؟) صفحة ـ (؟) مطبعة

كنت أوثر ، ان اتريث قليلا ، ريثما يقول النقاد كلمتهم في شعر هذا الشاعر الكبير ، ولكن معرفتي به ، ودراستي السابقة لديوانه : « الغابة المنسية » جعلتني اقول رايي ، دون ما حاجة الى تقليب وجوه الرأي في نقد النقاد ، او تعداد المناقب ، او اظهار المزايا التي قفزت بالشاعر في فترة وجيزة الى هذا الضرب من الشعر غير المتعارف في آداب اللغة العربية ، الا عند شاعر او شاعرين من الذين اوتوا هذا النصيب من التضلع في اللغة ، او حازوا هذه الثروة من البيان .

ولعلي لا اقول جديدا عن الشاعر : احمد مخيمر ، او اروي بالسماع عنه ، فدراستي له تعد دراسة نفسية ، وتناولي اياه ، يأتي من انه يجلس معي في حجرة واحدة ، ويرأسني منذ سنين طويلة ، ومع هذا فقد لا اجامله ، او ارفع من شانه ، بل على العكس ، فمجاملتي اياه لا تكاد تقف لحظة امام فيوضاته في هذا الديوان ، او تتابى على العجم ، طالما يعطيني الشاعر هذا العطاء الثر ...

فمنذ سنين ، وعندما اخرج الاستاذ مخيمر ، ديوانه : « الغابة المنسية » قلت عنه في مجلة : « المعرفة » السورية ، انه : شاعر مغرور، لا يقيم اوزانا في نفسه لبقية الشعراء ، او هو بمعنى أصح ، لا يعترف بهم ، وان كانوا هم انفسهم ، قد بزوه شهرة ، وسبقوه غنى ووظيفة ..

وكرت الايام سريعة ، وهو يحاول جهده ان يقنعني برأيه ، ويشرح لي غروره ، فكنت انا نفسي ، لا اتقبل رأيه ، او اناقشه احيانا ، بعض الذي يقول ...

وما كنت أعلم ، ان الايام تقف بجانبه ، وتثبت رأيه ، وتعطيه الحجة التي بها يتيه ...

لكن الشاعر كعادته ، لا يسلم نفسه للمقادير ، او يقف في مهب الرياح ، فهو يرينا قضايا هي احق بالدراسة ، واولى بالوقوف عندها ، لما تحمل من خبايا ، وما تتمخض عنه من ارهاصات ...

يحاول الاستاذ مخيمر ، في مقدمة ديوانه ، ان يبرز عدة قضايا ، ويناقش جملة آراء ، ويعرض لنظرية الفن للفن ، ويثبت رأي : « الان روب جرييه » و « كانت » واتجاه كل منهما في هذه النظرية . ثم يكون رأيه الذي يحمده له النقاد .. فالشاعر « لا يتصور الفن منعزلا عن الحياة .. لان الحياة في الداخل والخارج ، في النفس والطبيعة هي موضوع الفن ، ولا موضوع سواه ... » .

ويهتم الشاعر برأي الفريق المضاد لكانت وجرييه ، ويشرح تحركات هذا الفريق ومذهبه في الحرية وغير الحرية في التعبير ، والفن بين القيد والانطلاق ...

ولقد استدل الشاعر على من لا يرى الحرية للفنان بصديق له ، هو : عبد الرحمن الخميسي ، وان لم يذكر اسمه صراحة ، واكتفى بذكر كتابه : « الفن الذي نريده ... » .

على انه لا يخامرني شك ، في ان الاستاذ مخيمر ، قد اتى بعبد الرحمن الخميسي كمثال في هذه الدعوة ، لاعتقاده بفشله في جميع مناحيه ، حتى انه اضطر الى ان يقول عنه :

« ان صديقي حسن النية في دعوته ، ولكنه يمس الاشياء دائما من السطوح ولا يحاول ان ينفذ الى الاعماق ، ويرجع السبب في ذلك الى انه يبدد طاقاته في كل شيء ، دون ان يحس اي شيء ، فهو كاتب وشاعر ومؤلف قصصي وممثل وموسيقي ومخرج مسرحي ، ومخرج سينمائي ، ولا تستطيع ان تراه في القمة ، او صاعدا اليها في الشعر او القصة او التمثيل او الموسيقى او الاخراج ، وهذا دليل واضح على انه لم يكتشف نفسه بعد ... » .

ويلم الشاعر في استعراض بالفن ، وما يجب ان يكون عليه ، وموقفه من الجماهير ، ووجوده الفريزي ، مستدلا بالملاحم الشعبية ، والقصص التي تحفل بالصراع والقتال ، وينتهي الى ان المسرحية والقصة ، هما اقرب أشكال الفن الى الجماهير بشروطهما المعينة التي تخالف شروط الشعر في التلقي والطاقة الاحساسية ..

فمن هو « بوذا » الذي شغل الاستاذ مخيمر نفسه به ، واقام ديوانه عليه ، ولماذا اختار الشاعر له هذه الاشواق ..؟

يقول صاحب هذا الديوان : ان « بوذا » رجل طيب ، تجرد من شهوات الدنيا ، وتغلب على مطامع نفسه ، التي تتصل مشاعره بمشاعر الوجود والحياة ...

ويقول الشاعر .. ان السبب في هذا الديوان ، الذي نظمه في خلال شهرين ، هو الحرب العالمية الثانية ، وما خلفته من مآس وما تركته من اهوال ...

بيد اني أترك التحليل الذي آثرته ان يكون في كلمة اخرى ، والنظر المطلول الذي يأتي من خلال قراءتي المستوعبة الى كلمة اود الا يطول أمدها ، وامشي والشاعر في لمساته وعرضه لحالته النفسية التي املاها عليه وقوفه في الظل ، حيث يقف غيره في شمس الحياة .. !!

وفي الحق ، انني كنت اتمنى ان يغير الشاعر الكبير من نظرته الى العصر الذي يعيشه ، او الى الايام التي يبلوها بعد ان استوى ، وطاب ثمره ، الا انه لا يفتأ ان يردد ، مصرا على نظرته ، مقيما على حكمه :

وداد عدو .. او عداوة صاحب وضيعة احرار .. وامرة خادم
وعالم سوء .. لم يزل بعد حافلا بخسة فتاك .. وحسرة ندام
علت فيه ابواق التفاهة وانتهى به المثل الاعلى لثوب وهندام

والذي اريد ان اقوله للشاعر ، وقد قلته من قبل ، وغضب مني بعض الذين كنت اعنيهم ، ان الوصول الى ما وصل اليه هؤلاء ... ليس مركبه عسيرا ، او بعيد المنال ، ما دامت « البيوتات » موجودة ، وما دام كل شيء بثمن ، وما دام هناك اجر واجراء .. !!

ولقد أثار الاستاذ مخيمر قضية خطيرة في مقدمة هذا الديوان ، احق ان يلتفت اليها ، واقمن بالدراسة والتفكير .. تلك هي قضية صناعته الشعر والكلام على لسان حكماء قدامى ، وشعراء على مختلف العصور ، دون ان يتنبه واحد من النقاد الى هذه الصناعة ، او يشير احد الى هذا الافتئات الذي كشف عنه الشاعر في هذه المقدمة ، بعدما غبر عليه من السنين الكثير ، وكر عليه من الاعوام ، ما جعل الشاعر يكشف عنه اليوم ، ويحاول ان يستجهل كثيرا من الذين يتصدون للنقد ، او يتصورون انفسهم انهم نقاد ...

ومما يحز في نفسه ، تلك الواقعة التي جرت بينه وبين الدكتور مندور ، وهو يومذلك ، استاذ للنقد ، واستاذ في الجامعة ، يعنى بالشعر ويحرس قضاياه ، ويقوم من بنيانه ، ثم يكون ذلك الاهمال الذي آلم الشاعر ، وفعل فعله في نفسه ، بعد ان اصدر ديوانه « لزوميات مخيمر » الذي كان كافيا ، كما يقول الشاعر ، لان يلفت نظر مندور ، بغض النظر عن قيمته الفنية ... !!

غير اني لا اسلم بقضية كبرى ، كانت مدار حديث ، ومحور ارتكاز ، ادار عليه الاستاذ مخيمر قضاياه .. فمستوى النقد لم يهبط الى الحضيض في العشرين سنة الاخيرة ، الى درجة اننا لا نجد ناقدا واحدا يوثق به في رأي او حكم ، وما نجده من النقاد يجهل تراثه وادب لغته باستثناء قلة قليلة من اساتذة الجامعة ..!!

ان التفاهة كل التفاهة يا صديقي .. في هذا الاستثناء ، ان أردت الواقع دون مجاملة او خوف .. ورب ناقد قد عني بامر النقد ، وملك ادواته ، تغرورق عيناه بالدموع فرحا ، عندما يقرأ لاستاذ جامعي لا تتجاوز معرفته بالنقد ، معرفة الطالب العادي ، الذي لا يهمه سوى السير على قواعد ثابتة لا تتحرك تحت يده ، او هو لا يريد الانفكاك عنها ، او الضرب على غير خطها .. لذلك كان يجب ان يعكس الحكم ، ويكون بعض اساتذة الجامعة ، هم الذين يجهلون تراث لغتهم ، او هم الذين لا يملكون ملكة التذوق الفطري الذي هو مقياس المقاييس في فن النقد ، والمسار الزمني في شرعة النقاد .

واعتقد ، بالرغم من هذه المهازل الادبية ، واختلال المقاييس ، وزيادة فئة من الادباء ، كنت اول من هاجمهم ، واول من تعرض لنغمتهم في احيان كثيرة ، واول من عرض عليه شراؤه بثمن باهظ ، ان

الادباء ، هم اشد الناس احساسا بالاديب الحق ، والناقد الصادق ، بغض النظر عن شططه في بعض الاحايين ، انفعالا ، او انعكاسا ، او شعورا بالهضم ، الا انني على يقين ، مهما بلغ الاديب من العمر ، من انه سيأخذ وضعه ، ويجني ثمر تعبه ، ولو بعد موته ، علــى لسان رصفاء له ، يقدرونه قدره ، ويترحمون على جدثه ، وربما كان ذلك في مجلس اعلى للاداب العلوية ، والعلوم الربانية ، والفنون الاخروية.

القاهرة **ابو طالب زيان**

•

فلسطين : الطريق الـى السلم

تأليف هنري كتن ـ ٧٠ صفحة ـ الناشر لونغمان كروب في لندن ١٩٧١

هذا كتاب في القضية الفلسطينية وقد صدر حديثا باللغــة الانكليزية وجاء موجزا بالقياس الى الكتاب السابق في الموضوع نفسه الــذي صنفه القانوني الفقيه الاستاذ هنري كتن ، ونشر في لندن عــام ١٩٦٩ وخرج الى الخزانة العربية عام ١٩٧٠ طرفة ناصعة البيان ، مشرقة القسمات ، بقلم الكاتب الكبير الاستــاذ وديــع فلسطين وباسم « فلسطين : في ضوء الحق والعدل » .

والقاسم المشترك بين الكتاب الاول والكتاب الثاني انهما بقلم باحث مدقق يستقي الحقائق مــن مظانها الاصلية ويحسن تنسيقها وسردها منطقيا ، ويتولاها بالوزن السليم والتحليل المنطقي ، باسلوب القاضي النزيه المتعمق في فهمه للقانون ، المشبع بروح العدالة .

يعرض كتاب « فلسطين: الطريق الى السلم» القضية الفلسطينية ضمن اطارها التاريخي القانوني، ويكشف عن عروبة هذا البلد ومؤامرة الاستعمار وال هيونية عليه ، ثم يعرض الضغط والعـون الامريكيين وتقصير منظمة الامم المتحدة في رفع الحيف الذي الم بعــرب فلسطين وعجزها عن تنفيذ قراراتها التي ظلت حبرا على ورق مدة ربع قرن ، ولم يفته ان يصارح العرب ، من المحيط الــى الخليج ، بتقصيرهم انفسهم بحق انفسهم في هذه القضية التي لــم يرو التاريخ قضية اظلم منها .

وفي هذا الكتاب الذي نحن بصدده ، اقتبس المؤلف من (بلفور)، غير وعده المشؤوم ، قوله : « اننا بصدد فلسطين لا نعتزم حتى اتخاذ شكليات الاهتداء برغبات سكان البــلاد الحاليين ... فقــد التزمت الدول الاربع الكبرى بالصهيونية ، والصهيونية ، سواء أكانت علــى حق أم على باطل ، ذات جذور في مأثورات التاريــخ وفي حاجــات الحاضر وآمال المستقبل ، وهذه ذات اهمية اعمق كثيرا مــن رغبات واهواء الـ (٧٠٠،٠٠٠) عربي الذيــن يسكنون الآن هذه البــلاد القديمة » .

كما اقتبس قول جون ديفيــز الرئيس السابق لوكالة غــوث اللاجئين في كتابه « السلم المراوغ » : « وبسبب اختــلاف الدولتين الكبريين ، تعذر اتخاذ اي عمل ناجــع في مجلس الامن او الجمعيــة العمومية ، وهذا الاختلاف اطلق يــد اسرائيل في الاحتفاظ والتصرف بالاراضي التي استولت عليها ، وضم مدينة القدس العربية ، ورفض السماح للنازحين الى الاقطار العربية بالعودة الى مساكنهم واراضيهم في الضفة الغربية وقطاع غزة » .

وكذلك بسط الاستاذ كتن موقف كــل من الفيلسوف البريطاني برتراند رسل والمؤرخ البريطاني ارنولد توينبي مــن هــذه القضية المشبعة بالظلم الذي لا حد له ، ثم جاء على ذكــر الطريقين اللذين يبدوان سبيلين ممكنتين لتسوية النزاع في هــذه القضية ، وهما : الاتفاق بين الفريقين وقرار الدول الكبرى ويوضح استحالــة تحقيق التسوية باي منهما .

ويتابع المؤلف معالجاته بذكر الحلول الثلاثة :

١ ـ الحل العسكري ، ٢ ـ الحل السياسي وهل يتفق والحق والعدل ، ويظهر عدم جدوى كل من الاول والثاني ، ويأخذ يبلور الحل الثالث ضمن مراحل ثلاث هي :

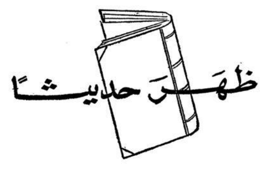
أ ـ انسحاب القوى الاسرائيلية انسحابا فوريا غير مشروط مـن جميع الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، على نحو مــا أكده قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، وعلــى غرار الانسحاب الذي تلا حرب السويس العدوانية عام ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ .

ب ـ تنفيذ قرارات الامم المتحدة التــي تجاهلتها وتحدتهــا اسرائيل منذ احتلالها عام ١٩٤٨ اراضي لــم يشملها قرار التقسيم الصادر في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ باعتبار ان تمديد اسرائيل لهــذا الاحتلال اكثر من عشرين سنة لا يكسبها حقا في الاحتفاظ بها اكثر من حقها في الاحتفاظ بما احتلته عام ١٩٦٧ ، وهذا يشمل عودة لاجئــي عام ١٩٤٨ ونازحي عــام ١٩٦٧ واستردادهم ممتلكاتهم او التعويض عليهم ، وحفظ الحقوق المدنية والسياسية والانسانية والحريــات الاساسية وحقوق الملكية الشخصيــة للعــرب المقيمين في اسرائيل ، وحفظ الوضع القانوني لمدينة القدس .

ج ـ اعادة الامم المتحدة النظر في قرار التقسيم الصادر عــام ١٩٤٧ لعدم شرعيته ، ولانها احتفظت لنفسها بحـق مراقبــة تنفيذه ، ولان اسرائيل خالفت قرارا صدر عــام ١٩٤٩ في الجمعية العمومية واشترط لقبول عضويتها في الامم المتحدة ان تؤكد عزمها على تنفيــذ قرار التقسيم المذكور كما خالفت هذا القرار نفسه ، ولان اسرائيــل قد ابتعدت كثيرا في اعمالها وتكوينها العضوي عــن مفهوم الدولــة اليهودية القائم عام ١٩٤٧ ومؤداه ان تتكون من مواطنين يهود ومسلمين ومسيحيين يتمتعون بحقوق متساوية ولم يقصد بها ان تصبح الدولة الدينية العنصرية التي آلت الآن اليها .

ويرى المؤلف المنصف ان اعادة الامم المتحدة النظــر في القرار المذكور واعادتها تقدير الحالة عامة ، مع امكان معاونة محكمة العــدل الدولية في ذلك يمكن ان تؤدي هذه العناصر الى انشاء كيان سياسي في فلسطين يكون خاليا من العنصرية والصهيونية ، على أساس العدل والديموقراطية ، ويؤمن حقوقا متساوية لجميع المواطنين .

عمان ـ الاردن **البدوي الملثم**



● دراسات مقارنة في المعجم العربي ـ تاليف الدكتور السيد يعقوب بكر استاذ كرسي فقه اللغة بجامعتي القاهرة وبيروت العربية ـ ١٦٨ صفحة باللغة الانجليزية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد البحيري اخوان بيروت .

● جوانب من مناخ الاردن ـ تاليف الدكتور يوسف عبد المجيد فايد من قسم الجغرافيا بجامعتي القاهرة وبيروت العربية ـ ٣٦ صفحة و ٤ صفحات باللغة الانجليزية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد البحيري اخوان ببيروت .

● مشكلة الغذاء في الوطن العربي ـ تاليف الدكتور محمد محروس اسماعيل من جامعتي الاسكندرية وبيروت العربية ـ ٦٨ صفحة ـ و ٨ صفحات باللغة الانجليزية ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ مطابع دار الاحد البحيري اخوان ببيروت .

● ينبوع فضائل ـ مجموعة شعرية ـ للشاعرة الارجنتينية كارمن كوردوفا ـ ترجمة جواد نادر ـ ٣٨ صفحة ـ (صدرت في بوينوس ايرس بالارجنتين) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دراسات تاريخية عن اصل العرب وحضاراتهم الانسانية ـ تاليف الدكتور محمد معروف الدواليبي ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قواعد تحقيق المخطوطات ـ وضعها الدكتور صلاح الدين المنجد ـ الطبعة العربية الرابعة ـ ٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد بيروت ـ مطابع الامان في درعون لبنان .

● حتى يطلع الفجر ـ مجموعة شعرية ـ محمد عبده غانم ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● القصة في الادب العربي وبحوث اخرى ـ تاليف محمود تيمور ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الاداب (القاهرة) ـ المطبعة النموذجية (القاهرة) .

● ديوان الشيخ نايف تلحوق ـ الجزء الاول ـ تقديم عجاج نويهض ـ ١٠٤ صفحات ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة البيدر ـ مطابع لبنان بيروت .

● داود شكور : اديب وخطيب ـ قدم له ونسقه ورافق طبعه نبيه سلامة ـ ٢٠٤ صفحات ـ حجم كبير ـ منشورات وطبع دار الراحل للطباعة والنشر في سان باولو البرازيل .

● في النقد الادبي : دراسة وتطبيق ـ تاليف الدكتور كمال نشأت ـ تقديم الدكتور مسارع الراوي رئيس الجامعة المستنصرية ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه ـ توزيع مكتبة الاندلس ببغداد ـ مطابع النعمان بالنجف الاشرف العراق .

● شعر ابي سعد المخزومي ـ جمعه وحققه الدكتور رزوق فرج رزوق ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على طبعه ـ مطبعة الايمان ببغداد .

● ابو العبر ، الامير الشاعر المهرج ـ تاليف الدكتور رزوق فرج رزوق ـ ٢٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مستلة من مجلة الجامعة المستنصرية العدد ٢ سنة ١٩٧١ ـ مطبعة سليمان الاعظمي ببغداد .

● في ظلال الاندلس ـ تاليف سلمى الحفار الكزبري ـ تقديم شفيق جبري ـ ١٦٠ صفحة ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● الادب في خدمة الحياة والعقيدة ـ تاليف عبد الله العويشق ـ بحث قدم لكلية اللغة العربية بالرياض فحاز درجة الامتياز للعام الدراسي ١٣٨٩ / ١٣٩٠ ـ باشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ من مطبوعات الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية السعودية ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطبعة شعاركو ببيروت .

● صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن السابع عشر ـ تاليف المستشرق الرحالة الفنلندي جورج اوغست فالين ((عبد الولي)) ـ ترجمة سمير سليم شبيلي ـ مراجعة يوسف ابرهيم يزبك ـ ٢٨٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اوراق لبنانية ـ مطبعة شرفان وديب بيروت .

● تصابي الكلمات ـ مجموعة خواطر ـ تاليف عبد المجيد لطفي ـ مصمم الغلاف محمد سعيد الصكار ـ ١٨٠ صفحة ـ ساعدت وزارة الاعلام على نشره ـ مطبعة النعمان في النجف بالعراق .

● مدخل الى كتاب العرب واليهود في التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثارية ـ تاليف الدكتور احمد سوسه ـ ٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الزمان ببغداد .

● الاناشيد الملونة ـ مجموعة شعرية ـ عبد المطلب حامد الراوي ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة الامة ببغداد .

● ظاهرة الانسان ـ تاليف تيار ده شاردان ـ تقديم جوليان هكسلي ـ ترجمة ندره اليازجي ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● كتاب الامثال ـ لابي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي ... ـ ١٩٨ هـ ـ حققه وقدم له الدكتور احمد محمد الضبيب الاستاذ المساعد بكلية جامعة الرياض ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الجزيرة بالرياض .

● زقاق ـ ملحمة شعرية من ٧ فصول ـ صفاء الحيدري ـ ١٣٦ صفحة ـ المؤسسة التجارية للطباعة والنشر بيروت .

● بديعيات الزمان : بحث تاريخي تحليلي في مقامات الهمذاني ـ تاليف الدكتور فيكتور الكك استاذ الادب العربي واللغة الفارسية في الجامعة اللبنانية ـ تقديم فؤاد افرام البستاني ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٥ في سلسلة نصوص ودروس ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● الهمس المذعور ـ مجموعة قصص ـ تاليف عبد الله نيازي ـ الغلاف والرسوم الداخلية والخطوط بريشة ضياء العزاوي ـ ١٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة حداد بالبصرة العراق .

● ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه ـ تاليف كمدي فرهود كمدي ـ تقديم الدكتور جميل جبر ـ وكلمة للشيخ حبيب مسعود ـ مصمم الغلاف سمير ابي راشد ـ ٢٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ (صدر في بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● محمد فريد ابو حديد : كاتب الرواية ـ تاليف الدكتور منصور ابراهيم الحازمي استاذ مساعد بكلية الاداب بجامعة الرياض ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الجزيرة بالرياض .

● فصول منتزعة لابو نصر الفارابي ـ حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور فوزي متري نجار من جامعة ولاية ميشغن ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعةالكاثوليكية ببيروت.

● في سراة غامد وزهران : نصوص ومشاهدات وانطباعات ـ تاليف حمد الجاسر ـ ٥٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٤ في سلسلة نصوص وابحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ـ منشورات دار اليمامة بالرياض ـ مطبعة المتني في فرن الشباك بيروت .

● ثلاثة مكعبات ـ ثلاث قصائد طويلة ـ هدى أديب ـ الغلاف بريشة آلان بولادون ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة المؤسسة التجارية للطباعة والنشر بيروت .